الفصل الرابع

حزب الأمة والأحزاب الأخرى

حزب الأمة والحزب الوطنى : التكوين والتنظيم والمبادىء ، تطور العلاقة — حزب الأمة وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية : التكوين والتنظيم والمبادىء ، تطور العلاقة — حزب الأمة والأحزاب الصغيرة : الاحرار ، الجمهورى ، المصرى .

تتحدد العلاقات بين الأحزاب المصرية على اساس تركيبها الاجتماعى والأهداف التى تجمعت حولها ، وانطلقت منها منذ البداية ، ثم تتخذ طبيعة ديناميكية — مدا وجزرا — تبعا للأحداث التى تمر بها مصر داخليا وخارجيا . ولسنا نريد اتخاذ علاقة كل منها بالقوى السياسية « الخديوى والاحتلال وتركيا » محورا لحركتها ، ذلك أن هذه العلاقات بدورها متغيرة بتغير الأحداث ، ثم أن ثلاثتها لا تتخذ عمقا وتأثيرا واحدا ، فعلاقة حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية بالسلطة الشرعية تحرك بصفة اساسية علاقاته مع الحزب الوطنى وحزب الأمة ، كما ان موقف الحزب الوطنى من الاحتلال البريطانى يمثل محور علاقاته مع حزب الأمة ، وهكذا ... بالتالى فهى ليست العامل الوحيد فى تحديد هذه العلاقات فقد يتغير التركيب الاجتماعى لحزب من الأحزاب مما يؤثر على علاقته بالأحزاب الاخرى ، كما قد يطور الحزب برنامجه او يغير مذهبه السياسى مما يؤثر ايضا فى علاقاته الحزبية . وان كان هذا وذاك لم يحدث كثيرا بالنسبة للأحزاب المصرية عام ١٩٠٧ . وعلى هذا سنبدأ بدراسة علاقة حزب الأمة بالأحزاب المعاصرة من حيث التكوين والتركيب والأهداف ، ثم الموقف من الأحداث وفقا لسياقها الزمنى وأثرها على العلاقات الحزبية .

حزب الأمة والحزب الوطنى :

كان لابد للحركة الوطنية ، وقد شملها اطار واحد ، أن يبرز فيها اكثر من اتجاه ، على النحو الذى ظهرت به بعد ذلك فى شكل تكوينات عام ١٩٠٧، نتيجة اختلاف المصالح للذين عناصرها من ناحية ، وتأثير الأحداث التى مرت بمصر من ناحية اخرى .

وجدير بالذكر ان نقاط الخلاف بين اتجاهى مصطفى كامل وانصاره ، وبين جماعة محمد عبده لم تكن حادة منذ مطلع القرن العشرين فقد وجدنا محمد فريد يرى أن مصر محتاجة لمساعدة الانجليز . ومصطفى كامل يتحدث عن تأخر المصريين ، ويرى ان المسألة المصرية ليست هى مسألة الاحتلال ويسأل الانجليز الوفاء بوعد « دفرين » ويبدى اهتماما بالاصلاح التعليمى والمجلس النيابى ، ربما يفوق اهتمامه بقضية الجلاء (١) كما كانت « اللواء » تنادى بأن مصر للمصريين وانه لا يوجد مصرى جدير بأن يسمى مصريا يرضى لنفسه ولقومه أن تفقد مصر استقلالها الداخلى الذى قبلته تركيا وضمنته دول أوروبا (٢) ، وكانت هذه المسائل محور اهتمام جماعة محمد عبده .

ولكن عندما برز اتجاه كل منهما بشكل واضح ، وتجمع داخل اطار حزبى عبر من خلاله عن موقفه من القوى السياسية وتصوره لأسلوب الكفاح بدأت هذه العلاقات تتخذ شكلا جديدا ، أثر فيه تكوين كل منهما تأثيرا واضحا . وأول ما نلمح فى تكوين الحزب الوطنى أن جميع زعمائه تقريبا ينتمون الى فئتى كبار ملاك الأراضى والمهنيين مع غلبة المحامين . وكان

---

(١) ففى ١٨ ديسمبر عام ١٨٩٩ ذكر ان « المسألة المصرية ليست هى الاحتلال ولكنها مسألة تأخر الأمة المصرية واستحكام الشقاق بين أفرادها وما مسألة الاحتلال الانجليزى الا مسألة فرعية بالنسبة لها » وفي اللواء ٥ أكتوبر ١٩٠٠ ذكر « لمصرى اذا كان الانجليز بودون حقيقة أن يمشوا مع هذا الشعب المصرى فى وفاق واتفاق ويسيرا به فى طريق السعادة كما يدعون فأول واجب نطالبهم به هو أن يحققوا وعد اللورد دفرين . أنظر : عبد الرحمن الرافعى ، مصطفى كامل ، ص ١٤٤ ، ١٦٦ — ١٦٧ ، ٥١٢ ، وأيضا عبد اللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية ، ج ٥ ،ص١٩٤ » .

(٢) اللواء ٢١١٥ فى ٢٣ أغسطس ١٩٠٦ (مصر للمصريين) .

الشباب من أهم خصائصهم فلم يزد عمر أى مسئول فيه خلال فترة ازدهاره ، عن خمسين عاما - كما كان الطلاب يمثلون جزءا رئيسيا فى صفوف الحزب وتنظيماته والاجهزته الفرعية ومن باب أولى جمعياته السرية (٣) وفى حديث للطفى السيد مع مراسل صحيفة « الطان » ذكر أن اغلب المنضمين للحزب الوطنى من الطلبة والفتيان . أما المنضمون لحزب الأمة فهم من الأعيان ، بينما علقت « اللواء » على ذلك بأن الحزب الوطنى هو الأمة المصرية من فتيانها الى شيوخها عدا الجماعات التى تتألف منها الأحزاب الأخرى (٤) ، وربما كان الداعى الى هذا التعريف هو أن المادة الثالثة من لائحة الحزب الوطنى تنص على انه يقبل عضوا فى الحزب كل مصرى يتمتع بسمعة طيبة ، الأمر الذى أدى الى دخول الوطنيين فيه أفواجا (٥) كما واصل الحزب اكتساب المزيد من الأعضاء مما يمكن قياسه بتضاعف عدد التنظيمات التابعة له فى القاهرة والاسكندرية والاقاليم والمدن الرئيسية فى اوروبا (٦) ، فى حين كاد يقتصر تكوين حزب الأمة على الأعيان من رؤساء العائلات واولى الرأى فى الامة من ابنائهم . وبينما لم نجد شخصية مسيطرة داخل حزب الأمة ، بالرغم من أن لطفى السيد كان المعبر عن آراء الحزب ، الا ان ذلك لم يكن على طول الخط ، كما أن دوره اقتصر على التعبير دون العمل ، كان مصطفى كامل شخصية مسيطرة داخل الحزب الوطنى عملا وقولا بدرجة تحول معها زملاؤه الى اتباع مخلصين لا قادة لهم كيانانهم (٧) .

وقد اتسم تنظيم حزب الأمة ببساطة بلغت حد التواضع ، بينما كان تنظيم الحزب الوطنى أكثر شمولا ودقة فضمت لائحته جمعية عمومية (مادة ٢ ، ٨) ولجنة ادارية من ثلاثين عضوا تجتمع مرة كل شهر (مادة ١٠ ،

---

(٣) جولد شمدت : الحزب الوطنى المصرى ، p. 376 . وكان محمد فريد مثلا قد ورث عن أبيه ثلاثمائة فدان وقصر بشبرا (الاثنين والدنيا عدد ١٠١٤ فى ١٦ نوفمبر ١٩٥٣) .

(٤) اللواء ٣٢٩٥ ، ٣٢٩٧ فى ٧ ، ٩ يونيو ١٩١٠

(٥) أحمد رشاد : مصطفى كامل ، ص ٢٧٩ ، ٢٦٨ « ويذكر أن الذين حضروا خطبة اعلان الحزب فى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ بلغوا ٦٠٠٠ شخص » .

(٦) جولد شمدت : المرجع السابق ، p. 194

(٧) المرجع السابق ، p. 155.

١١ ، ١٢) ثم لجنة تنفيذية من ثمانية اعضاء تجتمع مرة كل اسبوع على الأقل (مادة ١٤ ، ١٥) . وللحزب ناد بالقاهرة نصت المادة (٢١) على انه يمكن أن تكون له فروع فى جميع المدن ، وكان لجميع الأعضاء الحق فى حضور الجمعية العمومية السنوية بالقاهرة وانتخاب الرئيس واللجنة الادارية ، على أن تؤلف من أبحاث الاعضاء وخطبهم مجموعة سنوية تنشر باسم تقرير الحزب الوطنى (٨) .

ولابد ان « اللواء » كانت تعلم بالمشاورات التى تجرى فى النصف الثانى من عام ١٩٠٦ لتكوين حزب الأمة ، ومع هذا لم تعلق بشىء ، بعكس المؤيد مثلا ، ولعلها كانت تنتظر ما ستكشف عنه الأيام ، كما كانت منشغلة بمسألة طابة وآثارها ودنشواى التى وضع فيها الاحتلال رجال حزب الأمة ، فى موضع الخصوم من ضحاياها ، الذين صاروا اكبر مادة لدعاية مصطفى كامل وانصاره ضد الاحتلال .

ولما صدرت « الجريدة » رحبت « اللواء » بها ونقلت بعضا من افتتاحيتها وان كانت قد فندت مذهبها مما يوحى بالشك فى نواياها ، فقالت « اذا كانت ترى أن اعلى مظاهر الاعتدال فى العلاقة بين الأمة والحكومة هى المحاسنة المطلقة فنحن موافقون لها اذا كانت الحكومة اهلية ، اما اذا كانت فى يد مغير فهل يجب على الأمة مقابلة اساءتها بالامتنان والشكران ؟ » (٩) وقد ردت الجريدة ملقبة جماعة « اللواء » بمحتكرى الوطنية وطالبتهم بأن يقلعوا عن هذا الشغب المؤدى الى سوء الظن بين الأمة والحكومة (١٠) ، مما اثار موجة من الخصومة بين الحزبين ، زاد الأمر سوءا عندما طالبت الجريدة بحسن توديع اللورد كرومر ، الامر الذى جعل اللواء يتشكك فى أمر القائمين عليها ، فتساءلت الجريدة ، « واى علاقة

---

(٨) احمد رشاد : مصطفى كامل ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، جولد شمدت : السابق p. 147. الرافعى ، المرجع السابق ، ص ٢١٧

(٩) اللواء ٢٢٨١ فى ١٠ مارس ١٩٠٧ (الجريدة الجديدة) .

(١٠) الجريدة ٢٠ فى ٣١ مارس ١٩٠٧ (حديث الجناب العالى مع مندوب الطان) .

بين السياسة ووداع رجل كبير ؟ » (١١) كذلك بدأت اللواء تقلب « اوراقا قديمة » لجماعة الجريدة — ان صح القول — فأشارات الى صلتهم بالشيخ محمد عبده والى صلة هذا بكرومر واسمتهم « بالكرومريين » وعلقت على اعتراف لطفى السيد بمنجزات كرومر المالية والاقتصادية قائلة « ان اللورد اعطى الأمة الغنى المادى باليسرى واخذ باليمنى الوسائط التى ترقيها ادبا وعلما فهل يقال انه نفع من المصريين احدا ؟ » (١٢) .

وبدا أن اللواء تريد أن تدمغ جماعة الجريدة بالخيانة لصلتهم بالاحتلال فانتهزت ذكرى دنشواى ، ونشرت اقتباسات من ادعاء الهلباوى (١٣) ولما أزمع حزب الأمة الاعلان عن نفسه ، عادت اللواء الى تفنيد مذهبه واسلوبه متشككة فى تمثيله للأمة « فالأمة كلها على راى واحد » وان القائلين بالتدرج نسوا كلمة « جميعا » ان الانجليز لا يحترمون الا من يعرفهم كيف يحترمون وذكرت « أن الوطنية طريق واحد وأن الاحتلال والاستقلال لا يجتمعان وأن حكم الأجنبى ورقى البلاد لا يكونان » فما هذه الصيحات التى نسمعها وما هذه الأحزاب التى يسمونها ؟ (١٤) ، وهكذا انكرت اللواء الحزب واستنكرته ، وعزت قيام الأحزاب الى السياسة الانجليزية التى تستفيد من وراء انقسام الراى ، وتسجيل كلمة الرضى بالاحتلال على المصريين (١٥) .

---

(١١) الجريدة ٣٥ في ١٨ ابريل ١٩٠٧ (من هم ؟) .

(١٢) اللواء ٢٣٣٧ في ٢ مايو (الشيخ واللورد) ، ٢٣٣٣ في ١١ مايو (الحزب الوطنى ووزير المعارف) ، ٢٣٣٨ في ١٦ مايو ١٩٠٧ (صوت مصر) . وفي خطبة مصطفى كامل التى أعلن فيها عن قيام الحزب الوطنى ذكر خسائر مصر في أسهم الترنسفال والقنصليد الانجليزى ، وتساءل : ومن ذا الذى يتمنى بعد الآن بالافلاس المالى البريطانى فى هذا القطر ؟ انظر الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٥٠٤

(١٣) اللواء ٢٣٧٢ في ٢٥ يونيو ١٩٠٧

(١٤) اللواء ٢٤٠٢ في ٣٠ يوليو ، ٢٤٠٥ في ٣ اغسطس ١٩٠٧ (مطالب المصريين الوطنية طريق واحد) .

(١٥) اللواء ٢٤١٣ في ١٢ اغسطس ١٩٠٧ واضافت « أن الوصى لا يحب عادة ان يبلغ قاصره الرشد فيقوم بشئون نفسه » .

ولما اعلن قيام حزب الامة نشرت اللواء وصفا لاجتماع الاعيان وبعضا من خطبة حسن عبد الرازق ومبادىء الحزب دون ان تعلق بشيء(١٦) ، ولكن فريقا آخر من جماعة مصطفى كامل عبروا عن رايهم في هذا كله في صحيفتهم الانجليزية «الاجبشن ستاندرد» ، التي رات ان طلب توسيع نطاق المجلس النيابي مناف لمصالح البلاد « فالى متى سنظل نمهد الطريق وكم قرنا سينقضي في ذلك التمهيد ، ثم ان اصلاحات التعليم لا تتم مادامت مصر لا تحكم نفسها (١٧) ، وهكذا بدا انهم يرفضون اسلوب الاصلاح التدريجي الذي اتخذه حزب الامة منهاجا لعمله بعد ان اعلنوا رفضهم لمسلك الاعتدال ، وكان مصطفى كامل في أوروبا عشية اعلان قيام حزب الامة ، وقد اشيع انه ارسل الى محمد فريد يقول « ان ظهور حزب الامة المؤلف من اولئك الذين خبرنا نفسيتهم وميولهم الى مسايرة المحتلين وفقا لما يسمونه سياسة اللين والتدرج يحتم علينا أن نظهر حزبنا الوطني بالرغم منا في مظهره الحقيقي » (١٨) .

اما برنامج حزب الامة فقد اعلن محمد فريد انه طلب نفس الاصلاحات التي نادى بها جماعة الحزب الوطني منذ عشرة أعوام امام أوروبا ، وان الفرق الوحيد هو انهم لم يجعلوا الجلاء في مقدمة مطالبهم (١٩) . وهكذا كانت مسالة الاحتلال هي جوهر الخلاف بين برنامجي الحزبين ، واذا كنا لم نجد في برنامج حزب الامة غير وسائط للاستقلال ، كما انه لم يتضمن مطلبا سياسيا مباشرا ، فان برنامج الحزب الوطني كان سخيا وقد وضع على راسه « تحقيق استقلال مصر كما قررته معاهدة لندن وضمنته الفرمانات ... » وبينما تجاهل برنامج حزب الامة مسالة وضع مصر بالنسبة لتركيا ، فان برنامج الحزب الوطني دعا في مادته العاشرة الى بذل

---

(١٦) انظر اللواء ٢٤٤٧ في ٢١ سبتمبر ١٩٠٧

(١٧) الجريدة ١٦٧ في ٢٣ سبتمبر ١٩٠٧ (اقوال الجرائد الافرنجية عن حزب الامة) .

(١٨) جولييت آدم : انجلترا في مصر ترجمة على فهمي كامل ج ١ ص ٢٧٣

(١٩) اللواء ٢٤٥٤ في ٢٩ سبتمبر ١٩٠٧ (ترجمة لمقال ليتندار « الفكرة سائرة ») .

الجهود لتقوية علائق المحبة والتعلق التام بين مصر والدولة العلية ، وكان مصطفى كامل يعتبر هذه المسألة من أسمى سياسته ، وأنها لا تعني أن ينسى المصريون مصر ، ولم يكن لديه مانع من أن تكون هناك جامعة وطنية وجامعة اسلامية ، فليس ثمة تناقض بين هذه وتلك (٢٠) . . . . . .

أما المطلب النيابي فقد كان عند الحزب الوطني واضحا وحاسما وهو « إيجاد حكومة دستورية مسئولة أمام مجلس نيابي تام السلطة كمجالس النواب في أوروبا (مادة ٢) (٢١) في حين تواضع مطلب حزب الأمة الذي لم يتجاوز توسيع اختصاصات الهيئات القائمة ، وتعلق بالممكن وبالتدرج متسقا بذلك مع دعوة الحزب الى اتخاذ اسلوبي الاعتدال والتدرج الذي يتفق ومصالح كبار الملاك ، وهو الاسلوب الذي نبذه الحزب الوطني بالمعنى الذي يقصده حزب الأمة « فالذي تقهقر أمام المطلب الرئيسي وهو الجلاء واقتصر على التشنيع على الحكومة فهو معوج » وكان مصطفى كامل يتساءل : وهل يكون الاعتدال شيئا سوى الخوف والجبن والرياء ، واستعمال خطتين ومخاطبة الناس بلسانين ؟ (٢٢) ، ومع هذا لم يكن التطرف الذي يفضي الى الثورة هو نقيض هذا الاعتدال أو حتى بديله لدى مصطفى كامل ، فكثيرا ما نفى « تهمة » الثورة ، واستنكر اثارة الفتن ، وكان من أوائل الداعين للسكينة ، والمحافظة على الأمن العام ، وقد ذكر « الم نجعل اساس سياستنا وقاعدة خطتنا استخدام الوسائل السلمية لنيل حقوقنا بالطرق القانونية . . ؟ » (٢٣) كما هاجم مصطفى سياسة الاصلاح التي تبناها حزب الأمة ووصفها بأنها

---

(٢٠) اللواء ٢١٢٣ في ١٣ سبتمبر ١٩٠٦ (الوطنية والجامعة الاسلامية) ، هيكل ، تراجم ، ص ١٥٠ ، ومذكرات علمية ، ص ٢٦

(٢١) حول البرنامج انظر : احمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسي ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ، يونان : الحياة الحزبية ص ١٦٥ الذي اضاف أن حزب الأمة يرى ان النظام القائم يكفل لرجاله غالبية كبيرة داخل مؤسساته فكان من الصعب التضحية بهذا النظام مرة واحدة ، وجولد تسهت : الحزب الوطني p. 151 ، الذي ذكر ايضا ان البرنامج لم يذكر التلاح في مبادئه العشرة بالرغم من ان اربعة اخماس سكان مصر على الأقل كانوا فلاحين ، ص

(٢٢) اللواء ٢٤٥٤ في ٢٩ سبتمبر ١٩٠٧ (ما هذا الاعتدال لعلي تهمي) ، الرافعي : مصطفى كامل ، ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨

(٢٣) الرافعي : مصطفى كامل ص ٥٠٧ ، ويونان : اثر ثائر المطبوعات ص ٢٢٧

سياسة المغالطة ، وسخر من هـؤلاء الذين يريدون أن يخـدعوا انجلترا بقوة الدهاء ، واعتبر ذلك اعترافا من فريق من الأمة بقبول الاحتلال هذا فضلا عن كونها سياسة تؤدى الى قتل الروح الوطنية (٢٤) . واذا كان هذا هو تحليل مصطفى كامل لمعنى الاعتدال والتطرف واسلوبه لتحقيق غاياته فلسنا نراه يبتعد كثيرا عن اسـلوب حزب الأمة ، فكلا الحزبين يتمسـك بالاعتدال بديلا من التطرف والتهييج ، ووسيلة الحزب الوطنى ، تنحصر فى بث الروح الوطنية الصحيحة والشهامة والاقـدام فى الأمة واعلاء ملكتها وايجاد حب السؤدد والرفعة فاذا تمكنت هذه الروح من كل مصرى وفتحت المدارس العلمية والصناعية والتجارية والزراعية ، واتحدت الأمة وازدادت ثروتها اضطرت انجلترا يومئذ لأن تتفق معها على الجلاء » (٢٥) . وان كان الحزب الوطنى ، بعد وفاة مصطفى كامل ، قد نبذ هذا الأسلوب بشـكل عملى فتبنى اساليب عنيفة من المقاومة السلبية والتحريض على الاضرابات والمظاهرات وانشـاء الجمعيات السرية وغيرها مما لا نعرف له مثيلا لدى حزب الأمة . وحتى أكتوبر سنة ١٩١٠ كان قد تم تحذير « اللواء » للمرة الثالثة نتيجة مقالاتها العدائية ضد الاحتلال (٢٦) ، بينما لم يحدث مثل ذلك لجريدة حزب الأمة ، كما ارجع تشيتهام فى تقريره الى جراى فى ٣٠ يونيو ١٩١١ عن الجمعيات السرية ، قيام معظمها الى قيادات الحزب الوطنى وخاصـة الشيخ جاويش (٢٧) . وحين علم لطفى السيد أن الحزب الوطنى يدبر لمظاهرة تنادى بالجلاء ، ارسل الى محمد فريد من قريته محذرا من أن مظاهرة من هذا النوع لم يأت وقتها الى الآن وانك — اى فريد — أحزم من أن تدع الحزب الوطنى موضعا لتنديد العقلاء (٢٨) . وكثيرا ما عطلت صحف

---

(٢٤) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٤٩٢ — ٤٩٤

(٢٥) المرجع السابق ، ص ٤٩٥ (من خطبة مصطفى كامل فى ٢٢ — ١٠ — ١٩٠٧) .

(٢٦) FO. 407-175 part LXXII, No. 126, 1910, p. 204.

(٢٧) FO. 407 — 177 part LXXIV, No. 9, 1911 pp. 6-7.

وقد عرض التقرير لأسماء وشخصيات ٢٦ جمعيـة وهـدف كل منها من ص ٧ — ١٤ فى ٣٠ يونيو ١٩١١

(٢٨) أوراق محمد فريد ، مظروف ١٨ خطاب من لطفى السيد اليه فى ١٨ نوفمبر ١٩٠٨ وهو الخطاب الوحيد بيننا فى هذه المجموعة غير المنشورة والمودعة بدار الوثائق القومية .

الحزب الوطنى او حذفت بعض مقالاتها بينما لم يحدث ذلك « للجريدة » اللهم الا حذف مقال وبعض من مقال منها فى فترة اعلان الاحكام العرفية فى بداية الحرب العالمية الأولى .. كذلك حوكم معظم زعماء الحزب الوطنى وعوقبوا بالنفى والتشريد والسجن ، ولم يتعرض واحد من زعماء حزب الأمة لمثل ذلك .

اما عن تطور العلاقة بين الحزبين ، التى بدأت بشكل عدائى وسافر حين وصف مصطفى كامل انصار حزب الأمة ، بأنهم انصار سياسة المغالطة وذلك فى خطبة اعلانه للحزب الوطنى فى ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٠٧ ، فقد نقل مراسل « الجريدة » بعضا من الخطبة تحت عنوان « ناقل الكفر ليس بكافر » واصفا المسرح بأنه اهتز من كثرة التصفيق والدعوات الصالحات ، والخطيب بأنه « كمن يخاطب من فوق عرشه عبيدا » كما ذكر المراسل أن مصطفى يعرض بحزب يخالف مبادئه (٢٩) وفى اليوم التالى حللت « الجريدة » الخطبة بأنها دفاع من مصطفى كامل عن نفسه وسبب لمخالفيه ، وأن اعتباره لوجود الاحزاب السياسية تفريقا للأمة ، خطأ واستبداد فى الرأى والفكر . وأن سياسته وشخصه شىء واحد وهى عداء المحطين عداء لا يحرك ساكنا ولا ينازع نزيلا (٣٠) وردت « اللواء » بأن حزب الأمة يرى أن الاستقلال مسألة ثانوية ، وانه اذا كان طلب الاستقلال يعتبر كفرا فى مذهب الجريدة فالايمان اذن هو الرضا بالاحتلال وعدم المطالبة بالاستقلال . ولم تكتف « اللواء » بحصر الخلاف فى هذه المسألة بل وسعت نطاقه لتفضح سياسة حزب الأمة تجاه تركيا ، وحاولت جر الخديوى الى الميدان عندما اثارت قضية الاستقلال التام مدعية أن حزب الأمة يوزع منشورا يطلب فيه التخلص من الاحتلال الانجليزى والسيادة العثمانية والعائلة الخديوية ، وذكرت أن الجريدة وضع اساسها أيام مسألة العقبة لمحاربة الأميال التركية فى

---

(٢٩) الجريدة ١٩٣ فى ٢٣ اكتوبر ١٩٠٧ (والمراسل كامل ديلب) .

(٣٠) الجريدة ١٩٤ فى ٢٤ اكتوبر ١٩٠٧ (تعليق على خطبة مصطفى كامل باشا) .

مصر (٣١) ، وقد ردت « الجريدة » على ذلك بتفسير معنى الاستقلال التام تفسيرا مغايرا اعتمدت فيه على جدل فقهى موضحة ان ما تعنيه هو « الأوتونومى » وليس الاستقلال الكامل « الأندبانداتيس » وانكرت أن يكون طلب الاستقلال التام حربا على العائلة الخديوية ، « فكيف نحارب عرشا نطلب له الاستقلال من السلطة الفعلية ؟ » (٣٢) . وازاء هذا التراجع احتفت « اللواء » بالانتصار فنعتت حزب الأمة « بالحزب المضطرب » ، ورأت فى ذلك انهزاما وخضوعا للحق وذكرت أن جريدته بقيت على الحقيقة بكلمة « داخلى » فى تحديد نوع هذا الاستقلال (٣٣) . وكانت اللواء بشعبيتها الهائلة تعاير الجريدة وتعتبرها أقل الجرائد المصرية شأنا وتتهمها بمحاربة الوجدان الوطني ، ولم تكن تعنى بسوى كتاب « الجريدة » وعلى رأسهم لطفى السيد ، ذلك أن « مساهميها افاضل الأمة ونوابغها ولم يدخلوا فيها كغيرهم مرضاة لكرومر » ولكنها اخذت عليهم انهم تركوها تكتب بأسمائهم واموالهم (٣٤) . على أن هذا الاحترام من اللواء لاعيان الحزب انبعث اساسا من الرغبة فى تحطيم الجريدة والايقاع بين مؤسسيها ، وكانت موجة الانسحاب من الجريدة قد بدأت على صفحات « المؤيد » ، ويبدو أن الجريدة ازاء هذا العداء العام كانت تتلمس تاييدا — ولو واهيا — او تحييدا ، ممن هم فى مرتبة الخصوم ، فكانت تنشر مقالات فريد وجدى صاحب جريدة « الدستور » المؤيدة للحزب الوطنى ، « الذى كتب ما يفيد استياء الكثاب الاحرار من هذه الحملة على حزب الأمة » (٣٥) . ولم تشأ الجريدة أن ترد

---

(٣١) اللواء ٢٤٩٣ فى ١٤ نوفمبر ١٩٠٧ . (وقد نقلت عبارة من هذا المنشور الذى يدعو فيه الحزب الناس للانضمام لحزب الأمة ويذكر أن غرض حزب الأمة هو الاستقلال التام . ولم تعلق الجريدة بشىء حول فكرة المنشور ولم تتنه ولم تعثر على دليل آخر يؤكد مسألة توزيع الحزب لمنشورات) .

(٣٢) الجريدة ٢١١ فى ١٦ نوفمبر ١٩٠٧

(٣٣) اللواء ٢٤٩٥ فى ١٧ نوفمبر ١٩٠٧

(٣٤) اللواء ٢٥٤٦ فى ١٨ يناير ١٩٠٨

(٣٥) الجريدة ٢٦٠ فى ١٨ يناير ١٩٠٨ وقد ذكر فريد وجدى فى الدستور عدد ٥٦ فى ١٧ يناير ١٩٠٨ « لا أقول ذلك لان الجريدة على شىء مما أجده فى السياسة والمذهب وهى أول عمل سياسى مصرى قام به اعيان الأمة بل يحسن بنا ان نقابله ضاحكين ! » والعدد ٥٠ فى ١٣ يناير ١٩٠٨ وفيه يعلن استياءه من انسحاب الأعضاء .

على اللواء راغبة في سكوتها ان لم يكن عطفها ، كما إن لطفي السيد في اجتماع الجمعية العمومية للجريدة تحدث عن فضل مصطفى كامل في تنبيه الشعور الأمي ونعته « بسيادة زميلي » ودعا له بالشفاء (٣٦) .

وجاءت وفاة مصطفى كامل المفاجئة بمثابة طوق نجاة لحزب الأمة ، فارتآها فرصة كبيرة للتقرب من الحزب الوطني ، الذي كان بدوره منشغلا بوفاة زعيمه عن الصراعات الحزبية ، ولم تكن لهجة الجريدة في نعي مصطفى اقل اسى من اللواء فأفرغت صفحاتها في الترجمة له ونقل فقرات من خطبه ووصف موكب جنازته وبرقيات تعزيته ، واكثر من ذلك انفردت باقتراح اقامة تمثال لمصطفى كامل « تمثال الوطنية » ، وأوضحت انه لا خلاف بين برنامج حزب الأمة وبرنامج الحزب الوطني الا ما يكون من الخلاف اللفظي بين العبارتين تؤديان معنى واحدا (٣٧) .

وقد تولى أحمد لطفي السيد حملة كبرى متبنيا فيها أساليب الحزب الوطني فلأول مرة — تقليداً لمصطفى او حلولا محله — يخطب في نادي المدارس العليا خطابا عاما لجميع الأعضاء ، دعا فيه الى اقامة التمثال والوفاق مع الحزب الوطني واعتمد فيه على أساليب مصطفى كامل ومنطقه في اثارة الحماسة الوطنية والهاب المشاعر (٣٨) . وبهذا لم يكتف حزب الأمة بالتقارب مع الحزب الوطني ودفع تهمة الشك في وطنيته ، بل سار الى ابعد من ذلك ، وربما ساورت لطفي فكرة تولي زعامة الحزبين خلفا لمصطفى كامل ،

---

(٣٦) الجريدة ٢٦٧ في ٢٦ يناير ١٩٠٨ .

(٣٧) وقد نادى بفتح باب الاكتتاب للتمثال على البنك الالماني الشرقي ونشرت قائمة الاكتتاب الأولى ومعظم اسمائها من حزب الأمة واستشهدت بقول رجل من العامة منعوه من دخول القبر « لا تمنعوني فلياشا ليس بتاعكم يا أغنياء بل هو متاعنا نحن الفقراء » وعلقت تالها الرجل الأمي فقال بها كل شيء . الجريدة ٢٨٣ في ١٣ فبراير ١٩٠٨ وتحت عناوين « الوطنية فوق الأحزاب » و « الحزن العام » تفرغ الجريدة أحزانها وتنشر حوادث الطلبة الذين اخلوا بالنظام وتركوا مدارسهم لتشييع مصطفى وتشكر النظار للعفو عنهم وترد على البروجربة لتثبتا ان في المصريين شعورا عاما وجامعة قومية فوق كل شيء . أنظر أعداد : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ في ١٦ ، ١٧ ، ١٨ فبراير ١٩٠٨ .

(٣٨) الجريدة ٢٦٦ في ١٩ فبراير ١٩٠٨ (نص خطبته بنادي المدارس العليا) .

خاصة وقد تبنى أسلوبه ومنطقه الخطابى فى نادى المدارس العليا ثم فى نادى حـــزب الأمة فى ١٧ مايو ١٩٠٨. وكذلك مسرح زيزينيا بالاســـكندرية ـــ مكان مصطفى كامل ـــ كما أن لطفى قد نيط به أمر استلام التمثال وكلف على فهمى أن يكتب الى فريد ذلك (٣٩) . ويكمل هيكل الصورة حين يبدى استغرابه للطفى من موقفه يوم الوفاة حين بدا وكأنه أصيب فى أعز الناس لديه ، على ما كان بينهما من خصومة سياسية ، فيرد لطفى بأن هيكل لا يزال شابا لا يدرك مثل هـــذه المواقف (٤٠) .

وقد بادل الحزب الوطنى حزب الأمة مشاعره الطيبة وبادر محمد فريد الى الرد على احدى الجرائد التى حاولت التشويش على صداقته لأحمد لطفى السيد «بعد أن تأكد أننا على وفاق مع مدير الجريدة فى كليات الأمور» (٤١) وكان لا تضاح معالم سياسة الوفاق التى أضرت بكلا الحزبين ، أثر فى تنمية هـــذا التقارب بين الحزبين ، فقد أبعدت حزب الأمة عن الوكالة البريطانية بنفس القدر الذى ابتعد به الحزب الوطنى عن الخديوى عباس يائسا منه ، وان كان قد بدا ذلك فعلا قبيل وفاة مصطفى كامل ، كما أدى ازدياد حدة لهجة الجريدة تجاه الاحتلال الى نفس النتيجة ، ويتأكد هذا التقارب اكثر فاكثر فتنشر الجريدة ملخصا لخطبة فريد بدار التمثيل فى ١٧ أبريل ١٩٠٨ التى امتدح فيها حزب الأمة ومبادئه (٤٢) . ولا نجد فى صفحات الجريدة مغمزا للواء الا فيما يتعلق بمسائل حزبية بسيطة لا تمس أسس سياسة كل منهما (٤٣) .

---

(٣٩) أوراق محمد فريد ، خطاب ١٩ من على فهمى كامل اليه فى ٢ يوليو ١٩١٣

(٤٠) هيكل : مذكرات فى السياسة ج ١ ، ص ٣٢ ـــ ٣٤

(٤١) اللواء ٢٥٨٧ فى ٥ مارس ١٩٠٨

(٤٢) الجريدة ٣٣٧ فى ١٨ ابريل ١٩٠٨

(٤٣) تتحاول الجريدة لفت نظر اللواء الى خطئها ، فى الحكم على تاريخ الانجليز وفلسفتهم ، وفى دفاعها عن ناظر المعارف ضد حملة اللواء عليه لكتفى بأن تنشر رسالة « لأحدهم » تدافع عن الناظر دون أن تنتقد موقف اللواء منه ، الجريدة ٣٥٥ فى ١٠ مايو ١٩٠٨ (ماذا قرأ ؟ و ٣٥٦ فى ١١ مايو ١٩٠٨ (اللواء وناظر المعارف) . كما تعاتب اللواء الجريدة لتجاهلها خطبة على فهمى فى زيزينيا وترى أنها لن تقع فى مثل هذه الفريضة وتلخص خطبة لطفى السيد وتصف الحماسة التى قوبل بها نتيجة حملاته الشديدة على سياسة الاحتلال مما لم يسرح حزب الأمة بأمثالها من قبل (اللواء ٢٦٥٠ فى ١٨ مايو ١٩٠٨) وتنشر اللواء للمرة الأولى رسائل قرائها لتهنئة لطفى السيد بخطبته (اللواء ٢٦٥٠ فى ١٨ مايو ١٩٠٨) وأيضا وادى النيل عـــدد ١٥ فى ١٨ مايو ١٩٠٨ تعليقها على خطبة مدير الجريدة .

ولكن مع ذلك تظل هناك عقدة قديمة لا تفارق صدر الحزب الوطنى ، هى الخاصة بموقف حزب الأمة من علاقة مصر بتركيا ، وهذه المسألة الى جانب موقف حزب الأمة من الاحتلال ، يمثلان نقطتى الخلاف الجوهريتين فى علاقات الحزبين . فقد علقت اللواء على خطبة للطفى السيد تحدث فيها عن « استقلال مصر » بنشر عتاب بتوقيع ابراهيم حليم باشا نفى فيه عن لطفى السيد سوء النية وذكره بأن مصر خديوية تابعة للدولة العلية وأمل أن يكون لطفى قد عنى باستقلال مصر ، زوال الاحتلال الانجليزى (٤٤) كما لم يسمح الحزب الوطنى لتحسين العلاقة مع حزب الأمة بأن تنسيه مبدءا اساسيا من مبادئه أو تؤثر على موقفه من الاحتلال ، فلم يرد من الاحتجاج على جريدة حزب الأمة حين وافقت ناظر المعارف على امتحان اثنين من الانجليز ادعيا أن بامكانهما القيام بتدريس الرياضة باللغة العربية .. حتى لا يغضب دنلوب والاحتلال ، ورأت اللواء أن موقف الجريدة يعتبر عجيبا حقا لان كل انجليزى يدعى ذلك يجاب الى طلبه ذلك ان الذى يثبت عليهم مقدرتهم هم المفتشون الانجليز ، وتساءلت فى استنكار « أيصح أن تقول الجريدة أن هذه الطريقة حكيمة ومعقولة حتى لا يغضب دنلوب والاحتلال .. اننا لسنا فى مقام ارضاء دنلوب والاحتلال » (٤٥) وتدل هذه المسألة على اتساق موقف كل منهما من الاحتلال ، كما تدل أيضا على ان الحزب الوطنى ليس على استعداد لقبول موقف حزب الأمة استمرارا لفترة الود بينهما ، وقد اتضح نفس المعنى فى موقف كل منهما ازاء علاقة مصر بتركيا ، يضاف الى هذا وذاك نقطة تتعلق بالمطلب الدستورى ، فبينما تولى الحزب الوطنى ما عرف بحركة العرائض فى أواخر أبريل سنة ١٩٠٨ (٤٦) لم يحرك حزب الأمة ساكنا ازاء هذه الحركة العامة ويواصل

---

(٤٤) اللواء ٢٦٥٩ في ٢٨ مايو ١٩٠٨

(٤٥) اللواء ٢٦٨٢ في ٢٥ يونيو ١٩٠٨

(٤٦) قام الحزب الوطنى بجمع عرائض مطلب الدستور من الأمة ووضعت في ٤ مجلدات تحتوى على ٦٩٥ عريضة عليها أربعون الف توقيع ، وقابل فريد الخديوى لتقديمها اليه فأمر الخديوى بأن ترسل الى رئيس الديوان (اللواء ٢٦٣٤ ، في ٢٠ أبريل ١٩٠٨) .

مناقشة الحكومة في مشروع توسيع اختصاصيات الهيئات النيابية القائمة (٤٧). الامر الذي ادى الى انتقاد اللواء لذلك المسلك، وان بشكل غير مباشر. واعتبرت حزب الامة ضحية لسياسة الخداع والايهام التي واجه بها الاحتلال. وطلب المجلس النيابي، وفندت الصحيفة نوعية هذا «التوسيع» واعتبرت ان التغييرات التي جدثت محدودة وشكلية وبلا قيمة ؛ ثم استدارت اللواء نحو مجلس الشورى واوضحت لاعضائه ان من الفضيحة ان يقبلوا مناقشة مثل هذا المشروع التافه بعد ان ارتفع صوت الصغير والكبير بطلب الدستور (٤٨).

وبالرغم من هذا الاختلاف بين الحزبين على هذه المسائل الاساسية واسلوب التعامل معها ، فيما يسمى بالتطرف والاعتدال ، فان العلاقات الودية بينهما لم تنقطع ، ومحاولات حزب الامة التودد اكثر للحزب الوطني لا تزال مستمرة ، حتى وقد لوّ قتى الحزبان احدهما في الآخر « فخير الاحزاب ان لا حزب » كما دعت الجريدة الى الخروج من التحزب (٤٩) ونشرت نص خطبة فريد بزيزينيا في اغسطس ١٩٠٨ (٥٠) وقد بلغت العلاقة الودية بين الحزبين درجة اشيع معها ان الجهود مبذولة لجعلهما حزبا واحدا . وان خطبة لطفي السيد في الاسكندرية ستشرح البروجرام الجديد ، وان الخلاف ينحصر فيمن يكون الرئيس وان لطفي السيد قرر الانفصال عن حزب الامة اذا لم يتحقق الانضمام ليكون سكرتيرا عاما للحزب الوطني ثم يرشح نفسه للرئاسة القادمة (٥١) . وقد قابلت اللواء والجريدة ودا بود فنشرت في صدر صفحاتها نص خطبة لطفي ووصفتها بانها دلت على اتحاد الشعور الوطني وانها « ذكرتنا باقوال قيدنا وخاصة وقت مناداة الخطيب جهرا بالجلاء والدستور» وعلقت بان حزب الامة لو كان قد جاهر بهذه المطالب من يوم نشأته لكان اليوم

---

(٤٧) وذلك بنشر سلسلة مقالات « مسألة اليوم » في الفترة من ٢٨ مايو حتى اول يونيو ١٩٠٨ بالجريدة .

(٤٨) اللواء ٢٦٥٦ في ٢٥ مايو ١٩٠٨ ، ٢٦٨٢ في ٢٥ يونيو ١٩٠٨

(٤٩) الجريدة ٤٢٦ في ٤ اغسطس ١٩٠٨

(٥٠) الجريدة ٤٣٩ في ١٦ اغسطس ١٩٠٨

(٥١) المنبر ٦٤٧ في ٢٢ اغسطس ١٩٠٨

هو والحزب الوطنى واحدا (٥٢) . وبذلك يتضح أن الحزب الوطنى لم يصرح بذلك الا بناء على تصوره ان حزب الامة قد تخلى عن مبادئه او طورها ثم غير موقفه من الاحتلال ، كما يبدو أيضا أن اختلاف الحزبين فى المبادىء والمواقف شىء والعلاقات الودية بينهما او بين زعمائها شىء آخر . فالمسألة الاخيرة مستمرة ، برغم ثبات الأولى التى لا تتغير الا بتخلى احدهما عن مبدأ من مبادئه .

ينطبق هذا التحليل على ما اعتبره حزب الأمة تزحزحا من الحزب الوطنى عن موقفه تجاه تركيا ، خاصة بعد الانقلاب الدستورى فى يوليو ١٩٠٨ ونزوع الاتحاديين عن الاتجاه الاسلامى ، وعلى اثر تصريح انور باشا لمراسل التيمس فى تركيا فى أوائل سبتمبر من نفس العام بشأن الاتجاه الجديد (٥٣) فاشادت « الجريدة » بمقال لحمد فريد أبطل فيه حجة القائلين بأن من مصلحة مصر أن ترسل عنها مندوبين فى مجلس المبعوثان واعتبرت ان فريدا يدافع عن راى حزب الأمة فى هذه المسألة (٥٤) وانتشت الجريدة بتطور العلاقة بين الحزبين على هذا النحو ورأت فيما ذكره فريد عن توحد الحزبين أمرا ممكنا واجابت سائليها عن حقيقة هذه الاشاعة بانها لا تعلم خبرا كهذا ، وان كانت مبادىء الحزبين تسمح لهما بذلك ، وضربت مثلين أولهما : أن الحزب الوطنى جعل « المصرية » قاعدة اعماله السياسية ، وثانيهما : اتفاق موقفهما بشأن تمثيل مصر فى مجلس المبعوثان ، وكررت الجريدة ان مقصدها العام « هو الدستور والاستقلال واذا كان المستقبل يضمر توحيد الحزبين بالفعل فهذا ما لا نعرفه اليوم »(٥٥) .

ويبدو أن فكرة توحيد الحزبين كانت مقلقة لحزب الامة ذلك انه خشى ان يذوب داخل الحزب الوطنى الكبير قبل أن يتأكد لمن ستكون الزعامة ،

---

(٥٢) اللواء ٢٧٣٤ في ٢٤ اغسطس ١٩٠٨ ووادى النيل ٩٨ في ٢٣ اغسطس ١٩٠٨

(٥٣) يونان لبيب : الحياة الحزبية ، ص ٩٤

(٥٤) الجريدة ٤٥٤ ، ٤٥٥ في ٢ ، ٣ سبتمبر ١٩٠٨ (تصريحات رئيس الحزب الوطنى ، مصر وتركيا) .

(٥٥) الجريدة ٤٥٤ في ٢ سبتمبر ١٩٠٨

وكذلك فان دعوة حزب الأمة للدستور والجلاء لم تكن لها نفس دوافع الحزب الوطنى . كما ان لطفى السيد لم يستطع تجاهل حقيقة العلاقة بين زعامات الحزب الوطنى وتركيا برغم رفضهم اشتراك مصر فى مجلس المبعوثان . زاد من مخاوف حزب الأمة ان احدى صحف الحزب الوطنى ذكرت انه ليس فى مصر حزب غير الحزب الوطنى وان الأحزاب ما انشئت الا محاربة لمصطفى كامل (٥٦) .

ومع ذلك تستمر العلاقة الودية فتلخص الجريدة خطبة فريد فى ١٤ سبتمبر ١٩٠٨ وترد على المؤيد طعنها على مقالاته « ماذا يقولون » (٥٧) فتمتن اللواء لدفاع الجريدة وتنقل عنها انتقادها لشيخ المؤيد وتصفه بأنه أسطر ذهبية ويحضر فريد وبعض أعضاء اللجنة الادارية للحزب الوطنى الحديث السياسى فى نادى حزب الأمة (٥٨) بل وتنشر نص محاضرة لأحد أعضاء حزب الامة كاملة فى صدر صفحاتها للمرة الأولى (٥٩) وحين تتعطل آلات الطباعة باللواء تستضيفها مطابع « الجريدة » ليومين متتاليين(٦٠) ، وتمتلىء صفحات اللواء بتهنئة العشرة الكرام ، أعضاء مجلس الشورى ، ومعظمهم من حزب الأمة ، لاتفاقهم مع الأمة فى طلب المجلس النيابى (٦١) ويستقبل نادى حزب الأمة قطبا من أقطاب الحزب الوطنى محاضرا وهو عمر لطفى (٦٢) كما يحضر محمد فريد خطبة مدموازيل كليمان فى نادى حزب الأمة (٦٣) .

---

(٥٦) وادى النيل ١٠٨ في ٣ سبتمبر ١٩٠٨ (حزب الأمة يريد أن ينضم للحزب الوطنى) .

(٥٧) الجريدة ٤٦٥ في ١٥ سبتمبر ، ٤٧٨ في ٣٠ سبتمبر ١٩٠٨

(٥٨) اللواء ٢٧٦٨ في أول أكتوبر ، ٢٧٧١ في ٥ أكتوبر ١٩٠٨ (كما تعلن اللواء عن أخبار الأحاديث السياسية بنادى حزب الأمة قبل موعدها شأنها في ذلك شأن الجريدة . أنظر اللواء ٢٧٧٥ ، ٢٧٨٢ في ١٢ ، ١٨ — أكتوبر ١٩٠٨) .

(٥٩) اللواء ٢٧٨٢ في ١٨ أكتوبر ١٩٠٨ (وهى محاضرة احمد افندى عبد اللطيف) .

(٦٠) اللواء ٢٧٩٦ في ٧ نوفمبر ١٩٠٨ (ومذكرات محمد فريد ، القسم الثانى ، كراس (١) ، ص ١٠) .

(٦١) اللواء ٢٧٩٦ في ٧ نوفمبر ١٩٠٨

(٦٢) اللواء ٢٨١١ في ٢٤ نوفمبر ١٩٠٨

(٦٣) الجريدة ٥٤١ في ١٧ ديسمبر ١٩٠٨

وهكذا تستمر العلاقات بين الحزبين ، ودية طالما لم تكن هناك أحداث تمس جوهر مبادىء كل منهما وعلاقاته السياسية ؛ ولم يكدرها سوى رسالة نشرتها « الجريدة » لأحد قرائها يستنكر فيها الدعوة لإقامة تمثال لمصطفى كامل لأن فى ذلك احياء للوثنية (٦٤) فترد اللواء على لسان أحد قرائها ايضا الذى لام الجريدة على نشرها مثل هذه الرسالة ، خاصة وهى أول من نادى بفكرة التمثال (٦٥) وحتى ذلك الحين لم تخرج اللواء عن آداب الحوار مراعاة لحسن العلاقة بين الحزبين . غير انها فاجأت « الجريدة » بنشر كتاب مفتوح الى مديرها وصفتها فيه بأنها جريدة الأعيان وحزبها حزب الأعيان ، وتساءلت عن المعنى الخاص الذى تقصده بلفظ « الأعيان » واستنكرت ان يكون رجال حزب الأمة هم رؤساءنا او خيارنا ، وانهم اهل البلد وكلنا عيال عليهم دخلاء بينهم ... » ، كما حاولت تفسير المعانى المقصودة للفظ وفندتها جميعا منتهية الى ان حزب الأمة هو حزب الأغنياء (٦٦) ، فردت الجريدة بأنها لم تنتحل لمؤسسيها هذا اللقب بل وصفتهم بما هم موصوفون به من قبل ، وانهم حزب الأمة أى حزب الشعب لا حزب الأعيان (٦٧) ، وقد مرت هذه المسألة بسلام دون ان تكدر صفو العلاقات بين الحزبين ، فاشتركا معا فى الاعداد لمؤتمر يعقد فى جنيف دعا اليه الحزب الوطنى (٦٨) وساهم فيه لطفى السيد بالقاء محاضرة عن « المسألة المصرية »(٦٩) .

---

(٦٤) الجريدة ٦٠٤ في ٧ مارس ١٩٠٩ (كتاب من ب ت ج) .

(٦٥) اللواء ٢٩٠٠ في ٨ مارس (كتاب من محمد حسن) .

(٦٦) اللواء ٢٩٠٥ في ١٤ مارس ١٩٠٩ (خطاب لحسين بهجت المحامى) .

(٦٧) الجريدة ٦١١ في ١٥ مارس ١٩٠٩ (الأعيان) ومما يدل على استمرار العلاقة الودية تلخيص الجريدة لخطبة جاويش في مسرح برتانيا في ١٨ مارس ١٩٠٩ (الجريدة ٦١٤ في ١٨ مارس) وتنشر اللواء نص احتجاجات الأعيان وتوقيعاتهم على قانون المطبوعات ومعظمهم من حزب الأمة (اللواء ٢٩١٧ في ٢٧ مارس ١٩٠٩ ، ٣١٠٣ في ٣٠ اكتوبر ١٩٠٩) .

(٦٨) أوراق محمد فريد ، خطاب ١٥ من على الشمسى ، جنيف في ٢٦ ابريل ١٩٠٩ (وفيه يطلب على الشمسى من فريد مقابلة لطفى السيد والتكلم معه فيما اذا كان في الامكان جمع المال اللازم لنجاح المؤتمر من أعضاء الحزب الوطنى وحزب الأمة) وقد حللت الجريدة المؤتمر ورحبت بخطبة على الشمسى الدعوة اليه وساهمت في بيع تذاكرها . كما أن الذى تسلم الخطيب على المسرح هو حسن بك عبد الرازق (الجريدة ٦٧٧ في أول يونيو ، ٦٩٢ في ١٩ يونيو ، ٦٩٨ في ٢٦ يونيو ١٩٠٩) . ويغطى مراسلو الجريدة أخبار المؤتمر (الجريدة ٧٦٨ في ١٦ سبتمبر ١٩٠٩) .

(٦٩) انظر نصوص الخطب بالجريدة ٧٧٥ — ٧٧٩ من ٢٥ — ٢٩ سبتمبر ١٩٠٩

ولعل فى تلبية حزب الأمة دعوة الاشتراك فى المؤتمر والاعداد له خروجا على المألوف من سياسة الحزب فى شأن المسألة المصرية بالاستعانة بأوربا وشرح القضية المصرية لها ، فلم نعهد موقفا كهذا للحزب قبل ذلك ، وهو فى هذا يتبنى واحدا من اساليب الحزب الوطنى ، كما ان ذلك ايضا يعتبر تطورا من نوع جديد فى علاقة الحزبين انتقل بهما من العلاقات الودية والشخصية احيانا ، الى الاتفاق على اسلوب واحد فى التعامل مع المسألة المصرية . وتتضح معالم التغير فى ترجمة « ادارة الجريدة » لخطب لطفى السيد لعامى ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ الى الفرنسية لاعطاء الراى العام الفرنسى صورا وحقائق عن سياسة الحكومة (٧٠) كما نلمس تأثرا آخر بالحزب الوطنى يتعلق باسلوب العمل ، كان حزب الأمة مدفوعا اليه بتزايد عداء الخديو له ، وهو الدعوة الى قيام مظاهرة تبدا من ادارة الجريدة حتى منزل الشيخ حسونة النواوى لتتأسف لاستقالته وتشكره على استقلال رايه خلال حوادث الأزهر (٧١) وبالرغم من ان المظاهرة لم تتم بالفعل الا ان الدعوة اليها تنبىء عن تغير يتعلق برغبة الحزب فى التخلى عن اسلوبه .

وقد احتفلت الجريدة بعيد الدستور العثمانى واقام الحزب زينة باهرة وتوافد اعضاؤه على النادى مهنئين بعضهم البعض(٧٢) وهو امر وافق مشرب الحزب الوطنى الذى تمادى فى الاحتفال بما يناسب موقفه من تركيا ، فأرسل وفوده الى تركيا للتهنئة ، واعلن ان « المصريين عثمانيون قبل كل شىء ، على ان مصر عندما تتحرر لا يجوز ان تبقى ذيلا للدولة كما هى اليوم » (٧٣) . وقد نادت « اللواء » بسلطة الأمة فذكرت ان جميع الآراء قد تضافرت

---

(٧٠) اللواء ٣٠٨١ في ٣ اكتوبر ١٩٠٩

(٧١) وادى النيل ٧٩ في ٢٠ فبراير ١٩٠٩ وتضيف « أن لطفى اراد ان يظهر أمام الجموع بمظهر الرجل العظيم الذى تلتف حوله الأمة . وفي العدد ٨٠ في ٢١ فبراير تذكر الصحيفة ان لطفى وقف خطيبا بان الكبراء لا يستطيعون السير في هذه المظاهرة على الاقدام فطلبوا أن يسير هو معهم ناذعن في البداية ثم هرب على عربة فرار من الوعد ... » هذا ولم تشر « الجريدة » الى الدعوة للمظاهرة ، ولم تستنكر ما قالته وادى النيل .

(٧٢) اللواء ٣٠١٨ في ٢٤ يوليو ١٩٠٩

(٧٣) اللواء ٣٠٢٠ ، ٣٠٢٧ في ٢٦ يولية ، ٢ أغسطس ١٩٠٩

على القول بسلطة الأمة والنداء بسلطة الأمة ، وان الأمة المضرية اذا طلبت حقها فانما تطلبه حقا طبيعيا شرعيا وهو الحكم الذاتي(٧٤) بيد أن مفهوم الأمة يختلف بالضرورة عند كلا الحزبين ، فالأمة عند الحزب الوطني تعني عامة الشعب ، وتعني مختلف الطبقات من غني وفقير وصغير وكبير ، وانه يمثل الأمة خير تمثيل(٧٥) بينما يدخل الغني والمكانة الاجتماعية ورئاسة العائلات الكبيرة في مفهوم حزب الأمة .

ويظل الحزب الوطني على نفوره من الاعتدال والمعتدلين ، وقد وصفت « اللواء » المعتدلين الذين يظنون ان المحتلين سينيلوهم بالتدريج حكم أنفسهم ، بأنهم كالقابضين على الشمس . وتساءلت « الا يزال بيننا من يحسنون الظن بالانجليز » (٧٦) وكانت تعلم ان لا أحد يستطيع أن يرد بالايجاب فكأنها تريد أن تثبت على حزب الأمة ، وقد رأته يتبنى بعض اساليب الحزب الوطني ، نجاح سياستها . ويؤكد محمد فريد هذا المعنى في حديثه الى جريدة « الاكلير » في ٢١ سبتمبر ١٩٠٩ فيقول « الحزب الوطني صريح في هذه المسألة لأنه لا يطلب من انجلترا اصلاحات داخلية ، وانما يطالبها بالجلاء ، أما أصحابنا أعضاء حزب الأمة فهم يقتصرون على مطالبة انجلترا بالبر بوعودها بلهجة أخف بكثير من لهجتنا ... » (٧٧) .

وحتى يناير ١٩١٠ كانت العلاقات بين الحزبين على شيء من الود المتمثل في تبادل التهاني والدعاية لبعضهما في صحفهما وتبادل المطبوعات والتقارير اما نقاط الاختلاف الأساسية فقد بقيت دون تغير ، بينما لمسنا تغيرا طفيفا في اسلوب حزب الأمة مال به الى شيء من التطرف النسبي ، متأثرا بالحزب الوطني مرتبطا بسوء علاقته بكل من الوكالة والخديوي ، وبمحاولة الحزب التماسك بعد توالي الاستقالات منه ، ومحاولته اكتساب شعبية

---

(٧٤) اللواء ٣٠٣٤ في ١٠ اغسطس ١٩٠٩
(٧٥) اللواء ٢٨٣٨ في ٢٥ ديسمبر ١٩٠٨
(٧٦) اللواء ٣٠٤٥ في ٢٤ اغسطس ١٩٠٩
(٧٧) اللواء ٣٠٧٨ في ٢٩ سبتمبر ١٩٠٩

تعوضه فى محنته ، ولم يكن هذا الميل الى التطرف يرجع الى اقتناع حقيقى بقدر ما كان ميلا « تكتيكيا » ذلك أن تركيب الحزب لم يتغير بدرجة يغير معها اساليبه ، كما ان اسس الخلاف الجوهرية بينه وبين الحزب الوطنى وبالذات موقف كل منهما من الاحتلال والسيادة العثمانية ظلت على ما هى عليه .

ويقابل ذلك امعان الحـــزب الوطنى فى تطرفه واندفاعه فى مهاجمـــة الحـــكومة ومجلس شـــورى القوانين ، خاصـــة بعد الموافقة على قانون المطبوعات ، والاضرار التى حاقت بالحزب بسببه ، فاغلقت احدى صحفه وهى القطر المصرى وسجن صـــاحبها ، كما حبس الشيخ جاويش وانذر اللواء فى يوم واحد ، وبلغت حملة الحزب الوطنى على مجلس الشورى ، وخاصة اعضاء حـــزب الامة فيـــه ، مداها فى النصف الأول من يناير سنة ١٩١٠ ، فى الوقت الذى شرع فيه حزب الامة فى مهادنة الخديو والتقرب من معيته ، وكف قلمه عن انتقاد الحكومة ، بل ودافع عن مسلك مجلس الشورى ، وقد اعتقدت « الجريدة » ان الخلاف الذى دب بين اعضاء الحزب الوطنى ، والذى صدرت على اثره صحيفة « العلم » كلسان للحزب يعتبر نقطة ضعف فى الحزب الوطنى مما يجعله غير قادر على تحـــدى حزب الامة . وما ان اشتدت حملة اللواء على مجلس الشورى ، حتى اقترح عضو بالمجلس سحب رخص الصحف التى طعنت على الاعضاء ومنع مندوبيها من دخول المجلس ، وعضده على شعراوى خاصا اللواء بالذكر ، وعضدهما طائفة من زملائهما من حزب الامة أو من اشياعه واعتبرت اللواء ان الحملة مدبرة وابدت اسفها لدخول الشخصيات والحزازات الحزبية الى مجلس الشورى (٧٨) . ورأت الا غرابة فى ان يأتى ذلك من حزب الامة فقد كان اعضاؤه أول من صـــدقوا على قانون المطبوعات (٧٩) . ولم تنكر الجـــريدة ذلك . بل ايدت الاقتراح

---

(٧٨) اللواء ٣١٦٧ فى ١٣ يناير ١٩١٠ والعضو الأول الذى تقدم الاقتراح هو طلبة سعودى باشا (الجريدة ٨٦٩ فى ٢٠ يناير ١٩١٠) .

(٧٩) اللواء ٣١٦٩ فى ١٦ يناير ١٩١٠ وفتحى رضوان : مشهورون منسيون ، ص ٣٥ (ويذكر ان مندوب اللواء كان الشيخ جاويش) .

وحصرت الخلاف حول مندوب اللواء فقط وذكرت ان اللواء يمثل فى ذاته معنى التطرف (الراديكالزم) ، غير ان التطرف لا يقبل الخلط فى المبادىء ، ولا يسوغ الخروج عن قوانين الآداب (٨٠) غير ان هذا الموقف يوضح ان الجريدة كانت على استعداد للتضحية بما نادت به لمجرد الخلاف الحزبى او حتى الشخصى ، مما يدل على جوهر التمسك بما تنادى به ، فموقفها من مندوب اللواء يعتبر مناقضا لما كتبته فى ١٨ أبريل ١٩٠٩ مستنكرة ان يحرم احد من دخول المجلس بعد ان تقررت علانية جلساته « كان اعضاء الشورى يريدون مداحين يجلسون فى زوايا المجلس ليكتبوا فى اليوم التالى قصائد المدح للنواب .. » (٨١) . ويفسر هذا الموقف بعداء الحزب للخديوى ، الذى اقترحت مجموعة داخل المجلس يترأسها اسماعيل اباظة ، مشروع علانية الجلسات ولم تتضمن واحدا من اعضاء حزب الامة (٨٢) .

وتذكرت اللواء جذور الخلاف مع حزب الامة ، فتحدثت عن كشفه مصطفى كامل لامر الجريدة واثر سياسة جورست على الحزب ، حيث لم تبق له قيمة وطعنت على مجلس الشورى الذى لا يمثل الامة ، واستشهدت بأقوال سابقة للطفى السيد حول حرية الصحافة والنقد (٨٣) ولم يجد لطفى السيد بدا من النكوص امام عنف الشيخ جاويش ـ رئيس تحرير اللواء ـ فذكر ان الظروف السياسية تقتضى ان تأتلف الاحزاب ، « ولا أزال الح على رئيس تحرير اللواء بحق الوطنية ان لا يجتهد فى التفريق بيننا وبين اصدقائنا الكثيرين فى الحزب الوطنى » (٨٤) . وقد تمادى جاويش فى عدائه ، رغم تراجع لطفى السيد فكتب مقالة طويلة يرد بها على اتهام لطفى له بالتفريق بين

---

(٨٠) الجريدة ٨٦٩ في ٢٠ يناير ١٩١٠

(٨١) الجريدة ٦٣٩ في ١٨ ابريل ١٩٠٩

(٨٢) مضابط مجلس الشورى ، جلسة ١٣ أبريل ١٩٠٩ عدد ٤٥ من الوقائع في أول مايو ١٩٠٩

(٨٣) اللواء ٢١٧٤ في ٢٢ يناير ١٩١٠ (يستشهد بمقال للطفى بعنوان ويل للصحافيين في الجريدة بتاريخ ١٨ ابريل ١٩٠٩) .

(٨٤) الجريدة ٨٧١ في ٢٣ يناير ١٩١٠ (ويضيف : أما نحن فقد سامحناه فيما تفضل به ونسامحه في المستقبل عما سيثرعنا به من الالقاب) .

الاحزاب ، واطلق على مجلس شورى القوانين لقب « مجلس أعيان الأمة » وسرد تاريخ مصطفى كامل مع « الجريدة » (٨٥) وكأنه يريد بذلك أن يجرد الجريدة من ترائها ، خاصة الشباب منهم ، فانتقلت دائرة الخلاف من « الظروف القائمة » الى « المواقف القديمة » . وقد قدمت « الجريدة » دليلا على تراجعها ورغبتها فى ايقاف المعركة ، فانتهزت فرصة صدور الحكم بايقاف صحيفة « العلم » — وقد أصبحت لسان الحزب الوطنى — وانتقدت مسلك الحكومة وتطبيقها لقانون المطبوعات على جرائد الحزب الوطنى (٨٦) . كما خلقت مسألة مد امتياز قناة السويس موقفا مشتركا بين الحزبين حيث تسابقا فى معارضة المشروع (٨٧) ، وما ان صرح الخديوى لمندوب صحيفة التان بانه رئيس الحزب الوطنى حتى رحبت اللواء بذلك وكفت حملتها عن حزب الأمة منشغلة بمطالبة الخديوى بالدستور من جديد (٨٨) .

وتولى حزب الأمة بلسان ابراهيم الهلباوى ومحمود أبو النصر ، الدفاع عن الوردانى — أحد شباب الحزب الوطنى — فى قضية اغتياله لبطرس غالى ، وافسحت الجريدة صدرها لنشر نصوص الدفاع عنه (٨٩) ، ولما علم أحمد بك عبد الرازق أحد مؤسسى حزب الأمة بأمر تفتيش منزل محمد فريد ، أرسل اليه قبل التفتيش يحذره من ذلك ، فتخلص فريد من الأوراق التى يمكن اتخاذها دليلا للاضرار ببعض أعضاء الحزب الوطنى (٩٠) . وازداد التقارب بازدياد اعتدال موقف الحزب الوطنى نسبيا ودعوة زعمائه للاعتماد على النفس ، ورفع شعار مصر للمصريين ، ويأسهم من رجال تركيا الفتاة الذين صمت

---

(٨٥) اللواء ٢١٧٦ في ٢٤ يناير ١٩١٠

(٨٦) الجريدة ٩١٩ في ٢٠ مارس ١٩١٠

(٨٧) مذكرات محمد على علوبة : ص ٤٤ ، مذكرات سعد : ك ١٧ ، ص ٨٩٧

(٨٨) اللواء ٢٢٥٧ في ٢٥ أبريل ١٩١٠

(٨٩) الجريدة ٩٦٤ ، ٩٦٥ في ١٢ ، ١٤ مايو ١٩١٠ وهيكل : تراجم ص ١٩٥ ومذكرات سعد ، ك ١٨ ، ص ٩٣٩ ، وقد أضاف « أن الوردانى اشترط في قبول تعيين الهلباوى للدفاع عنه ان يتكلم في مسألة دنشواى بالانتقاد عليها فقبل هذا الشرط لأنه كان يريد أن يفصل بمرافعته أدران ما اقترنه في مسألة دنشواى » .

(٩٠) صبرى أبو المجد : محمد فريد ، ذكريات ومذكرات ص ١٦٥ — ١٦٦

آذانهم عن نداءاتهم (٩١) ، وفي حديث لطفي السيد الى مراسل صحيفة الطان ذكر أن بروجرام حزب الأمة هو في الحقيقة بروجرام الحزب الوطني ، وان الفـــرق بينهما انما هو فرق ســـن ومزاج فقط .. هم راديكاليون ، ونحن اوبورتنست متمهلون ، وأن اغلب المنضمين اليه هم طلبة فتيان أما المنضمون الى حزبنا فهم من الأعيان (٩٢) . وقد غضب الحزب الوطني من التحديد الأخير ولكنه لم يشأ ان يفتح مجالا جديدا للنقاش فاكتفت « اللواء » بان اشارت بأن الفتيان ينتمون للحزب الوطني الذي هو الأمة المصرية بأسرها الا قليلا واعربت عن احترامهـــا لأشخاص حزب الأمة أو حزب الاعيـــان وان قـــل عددهم (٩٣) وعندما علقت الجريدة على حديث لبلنت حول استبدال طابور عثماني واحد بجيش الاحتلال وذكرت ان « عودة مصر ولاية عثمانية لا يقول به مصري حر واحد » (٩٤) علقت اللواء بأنها لا ترضى ان يكون في مصر جيش احتلال سواء كان انجليزيا أو عثمانيا « واننا متمسكون بالسيادة العثمانية كما هي ماذامت في مصلحتنا فهي أكبر ضمان لاستقلالنا الداخلي . . . » (٩٥) وبهذا لم تتعد اللواء حدود تفسير رأيها بما يوافق مبادىء حزبها ، مما يدل على أن كلا الحزبين ظل على تمسكه بمبادئه في ظل العلاقة الطيبة التي تربطهما ، ويدل على ذلك دفاع الجريدة عن الشيخ جاويش عندما حوكم في قضية التقريظ التي اثارها ديوان « وطنيتي » للغاياتي (٩٦) وعرضت على محمد فريد أحد محاميها للدفاع عنه « فان القضية مهمة بالمتهم عديمة الأهمية بالنسبة لموضوعها » وقامت بحملة صحفية للدفاع عنه ثم طلبت الى الحكومة العفو عنه والحت في

---

(٩١) اللواء ٣٢٩٣ ، ٣٢٩٨ في ٥ ، ١١ يونيو ١٩١٠

(٩٢) نقلا عن اللواء ٣٢٩٥ في ٧ يونيو ١٩١٠ ويعلق مراسل الطان بان مصرع بطرس شيزيد من الافتراق بين الحزبين لان الذين ساءتهم هذه الحادثة سيتركون الحزب المتطرف وينضمون الى حـــزب الأمة Opportunists (هكذا عبر لطفي والمعروف ان ترجمتهـــا ثمنتج انتهازيون) اما الكلمة الاخرى فهي : Radicals

(٩٣) اللواء ٣٢٩٧ في ٩ يونيو ١٩١٠

(٩٤) اللواء ٣٣١٦ في ٢ يوليو ١٩١٠

(٩٥) اللواء ٣٣١٧ في ٣ يوليو ١٩١٠

(٩٦) الجريدة ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ في ١ ، ٢ أغسطس ١٩١٠

بذلك حتى أن محمد فريد قال « أرجو أن يتحاشى لطفى بك طرق هذا الموضوع فان هذا ما لا أقبله ولا أرغب فيه » (٩٧) .

وما لبثت قضية الاستقلال أن برزت الى السطح ، حين كتب لطفى السيد سلسلة مقالاته عن سياسة العواطف والمنافع ، فانبرت صحيفة العلم للرد عليه واظهرته فى موقف المحارب لعواطف المسلمين ، واتهمته بأنه راغب ، والذين على رأيه ، فى استبدال السيادة العثمانية بالسيادة الانجليزية (٩٨) ولم تكتف « العلم » بذلك بل أثارت نقطة الخلاف الأخرى بين الحزبين والمتعلقة بموقفهما من الاحتلال البريطانى منتهزة فرصة حديث لطفى الى مراسل صحيفة « الجارت » فعلقت بأن ذكر الأدلة تلو الأخرى على أن الاحتلال له اليد الطولى فى تلك « الجريدة » يعادل أقوال مديرها التى لا تدع مجالا للشك ، ووصفت مديرها بأنه انجليزى اكثر من الانجليز (٩٩) ولا يقتصر الهجوم على الجريدة وحزب الأمة على صحيفة العلم بل تولت صحيفة « الأفكار » احدى صحف الحزب الوطنى مهاجمة « الجريدة » باعتبارها اكثر شرا من المؤيد (١٠٠) .

واذا أخذنا فى اعتبارنا ما أحدثته حملة الجرائد المصرية على مقالات لطفى السيد ، والخلاف الذى حدث داخل الحزب نتيجة لذلك ، وما أحدثته تصريحات كتشنر عن استيائه من الأحزاب وصراعاتها ، حينئذ يبدو طبيعيا ان تتراجع الجريدة وتكف عن السير فى خصومة « العلم » حتى نهاية الشوط بل انها ابدت اسفها لتعطيل الصحيفة ثلاثة اشهر (١٠١) وحاولت اجتذاب

---

(٩٧) مذكرات الهلباوى ، ص ٩٥ والرافعى : محمد فريد ، ص ٢٨٥

(٩٨) العلم ٤٤٨ فى ٢٥ أكتوبر ، ٤٥٠ فى ٢٧ أكتوبر ١٩١١ وقد اتخذ الرد شكل مقالين متسلسلين بعنوان « مصرى يسوء سمعة المصريين » ، لمحمود فهمى الحامى أبان فيها عن مقت لطفى السيد للأتراك ورميه المصريين بالتعصب الدينى ، وأنه يريد أن يكسب مودة الانجليز ، كما ذكرت أن مصر للمصريين ولكن ذلك لا يمنعها من التقرب لتركيا قياسا على السياسة الحديثة التى تقضى بالتحالف والتعاطف ... الخ .

(٩٩) العلم ٤١٨ فى ١٨ سبتمبر ١٩١١

(١٠٠) الأفكار ٨٣٤ فى ١٧ سبتمبر ١٩١٢

(١٠١) الجريدة ١٤٤٩ فى ٢٠ ديسمبر ١٩١١

قطاعات الوطنيين بكتابتها عن الحركة الوطنية ونموها وذكرها أن الخلاف بين الأحزاب لا يؤثر عليها (١٠٢) ودافعت عن محمد فريد عندما هوجم لعدم وقوفه عند عزف السلام الخديوى بالأوبرا (١٠٣) ولما حوكم على اثر خطبته فى ٢٣ مارس ١٩١٢ ، واعتبرت خطبته تحريضا ضد الحكومة ودعوة للثورة ، وحوكم معه على فهمى كامل واسماعيل حافظ ، تبنت الجريدة القضية وتولى عبد العزيز فهمى ومحمود ابو النصر الدفاع عنهم (١٠٤) .. وعندما قبض على ثلاثة ينتمون للحزب الوطنى بتهمة التآمر على حياة الخديوى وكتشنر ومحمد سعيد وحوكم الثلاثة فيما عرف « بمؤامرة شبرا » يظهر الهلباوى ضمن هيئة الدفاع ويتولى الاتهام عبد الخالق ثروت النائب العام (١٠٥) ، وهكذا مرة اخرى ، منذ دنشواى يوضع رجلان من حزب الأمة فى موضعى الادعاء والدفاع فى قضية وطنية ، وان كان المتهمون ينتمون بشكل صريح للحزب الوطنى كما ان الهلباوى وقد تغير موقعه من ممثل الاتهام الى محام عن المتهمين .

وفى أواخر عام ١٩١٢ رحل محمد فريد عن مصر ، مما أضعف الحزب الوطنى وصرف الكثيرين عنه ، كما أن اللواء قد أغلقت (١٠٦) ومعها كثير من صحف الحزب . وكذلك هددت وانذرت صحيفة العلم وأغلقت أكثر من مرة ، وكان اغلاقها للمرة الأخيرة نتيجة نشرها مقالة لفريد ختمتها بالطعن على ولاة الأمور العثمانيين وحملتهم تبعة ما أصاب الجيش العثمانى فى الحرب البلقانية ، كما نلاحظ ان « الجريدة » نشرت اخبار الدولة العثمانية

---

(١٠٢) الجريدة ١٤٦٢ فى ٤ يناير ١٩١٢

(١٠٣) الجريدة ١٤٧٧ فى ٢٢ يناير ١٩١٢

(١٠٤) الرافعى : محمد فريد ، ص ٣٢٣ ، أحمد شفيق : مذكراتى ، ج ٢ ، م ٢ ، ص ٢٦٨ وقد حكم على فريد بالحبس سنة مع الشغل وعلى كل من على فهمى واسماعيل حافظ بالحبس ثلاثة اشهر وقد غادر فريد مصر على اثر صدور الحكم .

(١٠٥) الجريدة ١٦٥٠ ، ١٦٥١ فى ١٢ ، ١٣ أغسطس ١٩١٢ وأحمد شفيق : مذكراتى ج ٢ م ٢ ، ص ٢٦٨ ومحمد أنيس : الاحتلال والحركة الوطنية قبيل الحرب الأولى ، الأهرام ٢٦ مايو ١٩٧٢

(١٠٦) وقد اتهم فريد ظلمت حربه بالعمل على اغلاق صحيفة الاتحاد واضاد ابو اللواء من طريق وكالته فى ايوا بعبد السلطان امين صندوق الحزب الوطنى وبالتالى نصف اللواء فقد حاربها ظلمت خدمة لحزبه — مذكرات محمد فريد ، ق ٢ ، ك ١ ، ص ١٢

وانتصاراتها الوهمية وغوزتها بطرف خفى ، دون أن تجتد لهجتها ، فذكرى موقفها من الحرب الطرابلسية لا يزال ماثلا ، بما يجعل هذه الأخبار تكذب بعضها بعضا(١٠٧) ، الأمر الذى خلق تقاربا بين زعامات الحزبين ، والذى بدا واضحا فى موقفهما من الجمعية التشريعية . حيث بدا أن معارضة قوية من رجال الحزبين ستلعب دورا هاما بها بل اشيع أنه ربما اتفق منتخبوا الحزبين لتكوين حزب واحد داخل الجمعية(١٠٨) . يتأكد هذا التقارب مع تأثير اجراءات الحرب العظمى الأولى على مصر من احكام عرفية ورقابة صارمة واغلاق الصحف وتثبيتيت زعامات الأحزاب ، وقد صاحب هذا مؤقتا وباكراه ، تخل نسبى للحزب الوطنى عن تطرفه تجاه الوجود الاحتلالى فيذكر فريد أن ميدام دى روشبرون اخبرته بأن لطفى السيد صرح لها بضرورة بقاء الاحتلال والانفصال عن الدولة العلية(١٠٩) دون أن يعلق على ذلك او ينستكره ، بل ان بعضا من زعماء الحزب الوطنى قد تحادثوا مع فريد فى ضرورة الاتفاق مع الانجليز « حيث لم يبق لنا أمل تقريبا فى الحملة التركية على مصر » فيذكر فريد لاسماعيل لبيب ، « ان الانجليز لو كانوا منحونا المجلس النيابى والاستقلال الداخلى التام الذى ننشده لاعناهم ومشينا معهم » — يقصد فى الحرب العالمية — (١١٠) وهكذا قبل فريد هذا الحل « المعتدل » الذى هاجمه الحزب الوطنى ، وعاد معتدلا مثلما كان قبل صلته بمصطفى كامل ، كما انه للمرة الأولى فى تاريخ العلاقات بين

---

(١٠٧) الجريدة ١٧٢٢ فى ٩ نوفمبر ١٩١٢

(١٠٨) مذكرات محمد فريد ، القسم الثانى ، ك ٢ ، ص ٦٣

(١٠٩) مذكرات محمد فريد ، القسم الثانى ، ك ٣ ، ص ٨٠

(١١٠) مذكرات فريد ، القسم الثانى ، ك ٧ ، ص ١٧٩ ، ٢٠٠ (وقد لامه اسماعيل لبيب على هذه العبارة لانها ربما تنقل للاتراك) ولتغير موقف الحزب الوطنى من تركيا جذور تعود الى رفض الحكومة العثمانية التصريح للحزب بعقد مؤتمر اسلامى عام بالاستانة نتيجة تدخل مارللج السفير الانجليزى لديها : FO. 407 - 179, Part LXXVI; No. 35 - 36, 1912.

ثم طعن فريد على ولاة الأمور العثمانيين نتيجة فشلهم فى الحرب البلقانية (الجريدة ١٧٢٢ فى ٩ نوفمبر ١٩١٢) ثم يأس الحزب الوطنى من تركيا تماما عندما فشلت حملتها على مصر ، فصرح فريد « أن لا أمل فى خلاص مصر على يد الاتراك والالمان بل لو دخلوها لحولتها تركيا الى ولاية عثمانية بسيطة أو لبقى فيها الالمان ونحن فى هذه الظروف نفضل بقاء انجلترا والاتفاق معها على اخذ الدستور ولو تدريجيا . (مذكراته ، القسم الثانى ، ك ٧ ، ص ٢٠١) .

الحزبين يحدث تقارب أساسه اتفاق الموقف من الاحتلال وأسلوب التعامل معه . يتصل به تقارب آخر أساسه تغير موقف الحزب الوطنى من تركيبا للمرة الأولى .

حزب الأمة وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية :

اذا ما تمثلنا علاقة الخديو عباس بمؤسسى الجريدة الذين أعلنوا أنهم يكونون حزبا سياسيا منذ البداية ، فقد لا نبالغ اذا قلنا أن اعلان حزب الأمة عن قيامه فى سبتمبر ١٩٠٧ كان واحدا من الأسباب الرئيسية لظهور حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية فى ديسمبر ١٩٠٧ ، حيث فقد الخديو الأمل فى هذه الجماعة تقريبا حين وقفت منه جريدتهم ، منذ البداية ، موقفا غير ودى ، فى الوقت الذى ساءت فيه علاقته بالحزب الوطنى ، واثبت الحزب وجوده بعيدا عنه فكان لخسران الخديو لأكبر قطاعين وطنيين ، واعلانهما عن قيام حزبين كبيرين يتجاهلان فى برنامجيهما سلطته ، كما كان لرحيل سياسة الخلاف برحيل كرومر ، وظهور بوادر الوفاق مع جورست ، اثره فى بحث الخديو له من دور جديد فى الحركة السياسية ، ولما كانت هذه الحركة قد اتخذت أشكالا حزبية تنطق بلسانها صحف قائمة أو انشأتها فقد وجد الخديو ضالته فى صحيفة المؤيد التى يحررها على يوسف — الذى ما زال يذكر له وقوفه الى جانبه فى قضية زواجه متحديا بذلك مشاعر الرأى العام — لا يهمه على اية مبادىء تقوم بقدر ما يهمه أن تقف دونه فى مواجهة الحزبين الآخرين ، وليس من قبيل الفضول الصحفى ان تهتم المؤيد بأمر « الجريدة » قبل صدورها بأشهر تسعة ، فما ان علمت بمشاورات الأعيان لاصدارها ، حتى بذل على يوسف محاولاته ليكون عضوا بشركتها فاعتذر له رئيسها(١١١) كما قامت المؤيد بحملة استطلاع رأى واسعة النطاق تحت

---

(١١١) واجابه الأعضاء بأنهم لو كانوا راضين من خطة المؤيد لما كانوا بحاجة لانشاء جريدة جديدة (الجريدة ١٧٢ فى ٣٠ سبتمبر ١٩٠٧) .

عنوان « محادثات مع بعض الاعيان » (١١٢) التقى فيها مكاتبها بأعضاء شركة الجريدة ، ولم يترك صغيرة ولا كبيرة الا وسألهم عنها . كما نشر مشروع قانونها وهو فى دور الاعداد وهو ما لم تشر اليه « الجريدة » ذاتها فيما بعد ، وكأن المؤيد تريد أن توضح للخديو مركز الجريدة الجديدة . زاد الأمر وضوحا أنها ترجمت عن الصحف الانجليزية ما ذكره ملنر من أن كرومر يعمل لتكون حزب وطنى مخلص للحكومة يقاوم مثيرى القلاقل فى مصر ، ثم عادت فأفصحت عن ذلك بأن هذا الحزب هو الجمهور الذى يشتغل الآن بانشاء الجريدة الجديدة(١١٣) .

واستعدت المؤيد لمواجهة الجريدة الجديدة ، فصدرت للمرة الاولى فى ثمان صفحات وبحجم كبير(١١٤) لتزيد من مادتها وتوسع من قاعدة قرائها ؛ كما لجأت الى التنفير من الجريدة قبل صدورها بأسلوب ملتو فذكرت أن اكثار الصحف الانجليزية كالتيمس وغيرها من الترويج لها يضر بسمعتها ، حتى ان بعضهم يسميها « مقطما ثانيا »(١١٥) وذكرت قراءها بأن القائم على تحرير الجريدة هو صاحب الدفاع الهزيل فى دنشواى ، والذى شهد له « فندلى » بالامتياز(١١٦) ثم استدارت الى الخديو لتوضح له أنهم جماعة محمد عبده ، عدوه القديم(١١٧) لذلك عندما صدرت الجريدة شرعت فى غمز المؤيد بطرف خفى وقالت انها تنفذ الارادات المستترة للمعية السنية وتساءلت : ما حاجة الجناب العالى وهو صاحب السلطة الشرعية لقلم الكاتب ؟ حينئذ أحست المؤيد ان « الجريدة » تقصدها فتساءلت عما تقصده بالارادات ومن

---

(١١٢) المؤيد ٤٩٠٦ في ٤ يوليو ٤٩٠٨ في ٦ يوليو ، ٤٩٢٠ في ٢١ يوليو ١٩٠٦ ، (ولم نعثر في آية اشارة عن هذه الجريدة في صحيفة اخرى سوى المقطم عدد ٥٢٠٨ في ١٣ سبتمبر ١٩٠٦).

(١١٣) المؤيد ٤٩١٥ ، ٤٩١٦ في ١٥ ، ١٦ يوليو ١٩٠٦

(١١٤) ابتداء من العدد ٤٩٨٢ في اكتوبر ١٩٠٦

(١١٥) المؤيد ٥٠٣٥ في ٦ ديسمبر ١٩٠٦

(١١٦) المؤيد ٤٩٧٢ في ١٩ سبتمبر ، ٤٩٨٢ في ٢ اكتوبر ١٩٠٦

(١١٧) تظاهرت بالرد على التيمس وذكرت « انهم يريدون أن يخلطوا بين مبادىء الشيخ محمد عبده وبين نزعات المتهافتين على الوكالة البريطانية » المؤيد ٥٠٢٦ في ٦ ديسمبر ١٩٠٦.

الذى يصدرها ، وأتهمتها بترديد ما تقوله الصحف الانجليزية بل وحاولت ايغار صدر الخديو على الجريدة متهمة اياها بلمزه(١١٨) .

ثم تعرضت المؤيد لبرنامج حزب الأمة بالنقد والتحليل ولاحظت عليه عدة ملاحظات أولها : أنه تجاهل الحرية الشخصية وثانيها : أنه ترك مطلب التعليم باللغة العربية فى مدارس الحكومة . وثالثها : يتعلق بخلاف لفظى مؤداه اثبات أن مبادىء الحزب اذ تقرر « أن نصل بالتدريج الى المجلس النيابى الذى يوافق حالتنا السياسية » . يعنى أننا الآن غير مستحقين له مع تقييده بقيد الذى يوافق حالتنا السياسية ، وبهذا يخالف حزب الأمة ما قررته الجمعية العمومية التى طلبت المجلس طلبا أصليا ذاتيا ، ورابعها : اقتصار الحزب فى الدعوة للاجتماع على المشتركين فى الجريدة ومع ذلك يدعى أنه يمثل الأمة (١١٩) . وقد ردت الجريدة على ذلك موضحة ان الحرية الشخصية موجودة وكافلها القانون الذى تطلبه فى الفقرة الثانية ، كما أن ذكر التعليم وتصييره موافقا لنا لا يكون كذلك الا اذا كان بلغتنا والمجلس النيابى غير محقق الأمل فيه الا بظروف استثنائية للدول فى امرها حكم لا يستهان به ، كما ان قصر الدعوة على أعضاء الجمعية العمومية لشركة الجريدة امر طبيعى لأن الاجتماع لم يكن لتأليف حزب بل لاعلان برنامج حزب مؤلف من العام الماضى(١٢٠) .

واحتدت المعركة بين الصحيفتين فخصصت الجريدة بابا دائما بعنوان « المؤيد وحزب الأمة » (١٢١) ترد فيه على دعاوى على يوسف الذى انشأ سلسلة مقالات مطولة تحت عنوان « كيف انشىء المؤيد — خطته السياسية — رأيه فى حزب الامة » أكد فيها على الشقاق القائم بين رجال الحزب والخديوى، وأبان أن مدير الجريدة الذى يدعى خدمة الامة يجب أن يعلم أن مصلحة الامة

---

(١١٨) الجريدة ١٤ في ٢٤ مارس ١٩٠٧ ، المؤيد ٥١٢٢ في ٢٥ مارس ١٩٠٧

(١١٩) المؤيد ٥٢٧٧ في ٢٥ سبتمبر ١٩٠٧.

(١٢٠) الجريدة ١٧٢ ، ١٧٣ في ٢٩ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٠٧

(١٢١) الجريدة ١٧٦ ، ١٧٧ في ٣ ، ٤ اكتوبر ١٩٠٧ والأعداد التالية .

فى التحيز للسلطة الشرعية (١٢٢) وانكر انه طلب الانضمام لشركة الجريدة التى لا تقبل اى شخص له علاقة باحدى السلطتين وقبلت اقرب المقربين للوكالة البريطانية ، كما حاول على يوسف الايقاع بين الجريدة وحزب الامة باثارة مسألة علاقة الموظفين بالحزب الذى هو مشكل لان يكون قوة امام الحكومة باسم الامة (١٢٣) .

وخلال اكتوبر ١٩٠٧ اعلن الحزب الوطنى عن قيامه رسميا . فتأكد لدى على يوسف أن الخديوى لم يعد امامه الا « المؤيد » فمهد لاعلان حزب الاصلاح بمهادنة حزب الامة ، بل انه وصل الى حد دفاعه عنه عندما هاجمه الحزب الوطنى فيما عرف بقضية « الاستقلال التام » وذكر المؤيد أن اللواء نسى انه نادى بالاستقلال التام الف مرة وبالتالى فهو اسبق فى معاداة الدولة العلية (١٢٤) .

وحزب الاصلاح الذى أعلن عن قيامه فى ديسمبر ١٩٠٧ ، يتشابه الى حد كبير مع حزب الامة من حيث التكوين ، فمجلس ادارته المكون من خمسة عشر عضوا ، ضم بينهم ثلاثة باشوات وستة باكوات ، ثم ان المؤسسين ، والذين انضموا الى الحزب بعد تأسيسه « كلهم من سراة المصريين وكبار فضلائهم من باشوات وبكوات وعلماء ومحامين وذوات واعيان » ، كما أيده من القوم « عقلاؤهم ووجهاؤهم واهل العلم والعمل والثروة وذوو الصفات النيابية فى البلاد » (١٢٥) ، واذا اخذنا فى اعتبارنا ان الكثير من المثقفين الشبان من ابناء الاعيان قد انضموا الى حزب الامة وان غيرهم من فئات الشباب وطلبة المدارس قد اخذوا بمبادىء مصطفى كامل وحماسته المتدفقة ، واذا علمنا ان طبيعة حزب الاصلاح طبيعة جامدة محافظة لا ترضى طموح

---

(١٢٢) المؤيد ٢٢٨٨ في ٨ اكتوبر ١٩٠٧.

(١٢٣) المؤيد ٥٢٨٩ في ٩ اكتوبر ١٩٠٧.

(١٢٤) المؤيد ٥٣١٩ في ١٧ نوفمبر ١٩٠٧

(١٢٥) المؤيد ٥٣٣٧ ، ٥٣٣٨ في ٩ ، ١٠ ديسمبر ١٩٠٧ وقد وصفه الخديوى عباس حلمى فى مذكراته بأنه الحزب المحافظ او حزب اعيان البلاد (المصرى ٤٨٣٢ في ١١ مايو ١٩٥١) .

الشبـــاب (١٢٦) ، حينئذ يمكننا استنتاج نوعية الفئات التى انضمت لحزب الاصلاح خاصة وقد فصل الحزب بين عضويته العاملة وغير العاملة بنصاب مالى (١٢٧) ولعل عدم نص قانون حزب الامة على اطلاق العضوية لمن شـــاء او تحديد ذلك بنصاب مالى يمثل الفرق الوحيد بين الحزبين فى هذه المسألة وان كان لم يؤثر كثيرا فى تكوين حزب الاصلاح وحجمه الذى يعتبر عدديا اقل بكثير من حزب الامة ، ففى اليوم الأول لاعلانه كان عدد الاعضاء ١٦٠ عضوا عامـــلا ، يضاف اليهم مجلس الادارة ويكونون جمعيا جمعية الحزب العمومية (١٢٨) .

ونظام حزب الاصلاح قريب الشبه بنظام حزب الامة حيث يباشر أعماله مجلس ادارة يتكون من ١٥ شخصا ، وان كان ٢٥ فى حزب الأمة ، وجمعية عمومية (مادة ٦) ، وبرغم أن قانونه نص على انه سوف ينشىء فروعا فى مدن القطر الكبرى (مادة ١) (١٢٩) الا اننا لم نسمع سوى أصوات مندوبى «المؤيد» فى الاقاليم فقط . ولعل الفارق الاساسى فى النظام بين الحزبين يتمثل فى كون صاحب المؤيد ورئيس تحريره هو عينه رئيس حزب الاصلاح ، اما حـــزب الأمة فقد كانت الجريدة شركـــة جماعية يراس تحريرها سكرتير الحزب . وعمليا كانت الصحيفة وحدها لسان حال كل منهما .

واذا كان حزب الامة قد تجاهل فى مبادئه السلطة الخديوية ، فان حزب الاصلاح قد وضع مسألة تأييدها فى قمة برنامجه ، اما مسألة الاحتلال والجلاء، فقد رأينا حزب الامة يعرض مقدمات ووسائط تبلغ بها الامـــة استقلالها ، ويقرر حزب الاصلاح تلك الوسائل ، وان كان قد أسبقها بتأكيده الاعتمـــاد

---

(١٢٦) ونظرة واحدة لمطبوعات المؤيد توضح نوع الثقافة التى تنشرها فهى (نهاية الايجاز في علوم البلاغة للفخر الرازى ـ التبر المسبوك في نصيحة الملوك للغزالى ـ نصل المقـــال فيما بين الشريعة والفلسفة من الاتصال ـ معارج الوصـــول لابن تيمية ـ الواســـطة بين الحق والخلق ... الخ) . المؤيد ٥٤٥٢ في ٢٨ أبريل ١٩٠٨

(١٢٧) الجريدة ٢٣١ في ١٠ ديسمبر ١٩٠٧ (العضو العامل يدفع خمسة جنيهات سنويا بينما يدفع العضو غير العامل خمسون قرشا) .

(١٢٨) المؤيد ٥٣٣٧ في ٩ ديسمبر ١٩٠٧

(١٢٩) الجريدة ٢٣١ في ١٠ ديسمبر ١٩٠٧

على وعود وتصريحات بريطانيا ومطالبتها بتحقيقها (مادة ٢) أما مقدمات الاستقلال فقد تحددت بطلب مجلس نيابى تام السلطة وهو ما لم يطلبه حزب الامة ، كما أن برنامج حزب الاصلاح قد تجاهل الاصلاح الاقتصادى ، فى حين احتل هذا الامر نصف برنامج حزب الامة ، ولسنا نبالغ اذا قلنا ان حزب الاصلاح قد وضع أساسا لتحقيق المبدأ الاول من برنامجه « تأييد السلطة الخديوية فيما منحتها الفرمانات الشاهانية لاستقلال مصر الادارى » ، ذلك أن بقية برنامج الحزب قد وزد فى برنامجى الحزبين الآخرين — الامة والوطنى — ولان هذا المبدأ دون غيره ، كان محور الخلاف بين حزب الاصلاح والاحزاب الاخرى ، وبالذات حزب الامة ، ثم ان الحزب ظل قويا بقوة هذه السلطة ، وضعف بضعفها ، ، وزال باشارة منها . وكان طبيعيا أن يغلب طابع الاعتدال على أسلوب الحزب ، وذلك بحكم تكوينه ، وعلاقته بالسلطة الشرعية خاصة فى زمن الوفاق ، وطبيعة المهمة التى انشىء من أجلها ، ويصرح شيخ المؤيد بذلك الاعتدال مؤكدا ان الاعتدال هو الوظيفة الطبيعية للعقل وخير الامور الوسط ... وان كل من خرج عنه بتطرف أو افراط محكوم عليه بالخطأ والطيش (١٣٠) . كما ان خير دليل على اعتداله ، بنطق حزب الامة ، موقفه من قضية الاحتلال الذى تقول عنه « المؤيد » لا ينبغى ان نكره هذا الضيف الذى نستفيد منه ونترقى به حتى نبلغ مبلغه من الرقى والكمال وحين ذلك نطالبه بالحسنى .. فيفنينا برقينا وتقدمنا عن المكافحة والنزاع (١٣١) ويؤكد على يوسف اختلاف جماعته مع الحزب المتطرف « فالانجليز ينوون البقاء لا الجلاء غير اننا نختلف فى طريقة ابدال هذا البقاء بالجلاء فهم يرون القوة ونحن نرى الاتفاق » (١٣٢) .

انتقدت الجريدة على حزب الاصلاح أنه توج مبادئه بذكر تأييد السلطة الخديوية « كأن عرش الخديوية فى حاجة الى تأييد ، وما سمعنا ان ملكا يفتقر فى تأييد سلطته لحزب ولا أن حزبا أسس لتأييد ملك ثم ما هو التهديد

---

(١٣٠) المؤيد ٥٢٧٢ فى ١٩ سبتمبر ١٩٠٧

(١٣١) المؤيد ٥٢٧٦ فى ٢٤ سبتمبر ١٩٠٧

(١٣٢) المؤيد ٥٣١٠ فى ٣ نوفمبر ١٩٠٧

الذى يهدد الخديوية لتحتاج الى تاييد » وكانت بذلك تنقد مسلك الخديوى تجاه الحزب لا العكس . رغم تاكيدها ان التمسك بالعرش واجب مقدس على كل مصرى (١٢٣) والطريف ان الشيخ على يوسف الذى دافع عن موقف حزب الامة فى قضية الاستقلال التام ذكر فى اجتماع حزبه ، انه لا يطلب الاستقلال التام الذى يطلبه سواه ، ويعتبر من يطلبه لمصر مهددا للسلطة الخديوية (١٢٤) ، وبهذا يفسره من زاوية حزبه باعتباره مهددا للخديوى بالدرجة الاولى فى حين ان الحزب الوطنى قد فسره باعتبارة مهددا للسيادة التركية .

وبتصاعد الخلاف بين الخديوى عباس وحزب الامة فى مطلع عام ١٩٠٨ يتصاعد العداء بين حزبى الامة والاصلاح ، ان لم يكن هذا الاخير مذكيا ومتحمسا له ، ففى يناير ١٩٠٨ حملت المؤيد على حزب الامة حملتين كبيرتين تستهدفان تمزيقه بدات أولاهما باحتضان المنشقين على الحزب خلال صراعه مع الخديوى ، فنشرت نصوص استقالاتهم تحت عنوان شبه يومى هو « بين الجريدة ومساهميها » (١٢٥) . وكلهم يعلنون تبرؤهم من خطة الحزب ومسلك الجريدة وينسحبون من شركتها رافعين دعاوى لتصفيتها ، وكان معظمهم يستنكر موقف الجريدة من العرش الخديوى ، وقد خرجت «الجريدة»

---

(١٢٣) الجريدة ٢٣٢ في ١١ ديسمبر ١٩٠٧

(١٢٤) المؤيد ٥٣٥١ في ٢٦ ديسمبر ١٩٠٧

(١٢٥) بدات المؤيد هذه الحملة بنشر خطابات انسحاب عثمان سليط ومحمود الأتربى ورفعهما قضية على الجريدة (٥٣٥٨ في ٤ يناير ١٩٠٨) وقد وردت الجريدة بشراء حصصهما وأودع عبد العزيز فهمى خزينة المحكمة ما اكتبا به ثم رفضت الدعوى (الجريدة ٢٥٧ في ١٢ يناير ١٩٠٨) ثم تلتها استقالة احمد عليبى باشا بكتاب مفتوح يعلن فيه انسحابه من الحزب الذى لا يتعلق بالعرش الخديوى (المؤيد ٥٣٦٤ في ١١ يناير ١٩٠٨) وقد وردت الجريدة بأن القول بسلطة الامة لا يعد تطاولا على السلطة الشرعية التى تحتويها ولها مواقف في الدفاع عنها (٢٥٨ في ١٢ يناير ١٩٠٨) ثم توالت استقالات امين الشمى وسيف النصر محمد وتمام كساب واحمد رفعت واحمد يحيى ومهران خلاف وناشد حنا ومحمد الحفناوى وابراهيم مراد وحسن جمجوم ومصطفى خليل وغيرهم (المؤيد ٥٣٦٥ ، ٥٣٦٦ في ١٢ ، ١٣ يناير ١٩٠٨) وتذكر المؤيد في العدد الاخير ان الجمعية العمومية للحزب كان موعد انعقادها امس ولكنها لم تجتمع لعدم تكامل العدد القانونى لها هذا وكانت المؤيد قد عنونت كتاباتها بعنوان « بين حزب الامة وأعضائه » ولما توالت الانشقاقات بدا لها ان الحزب قد انتهى بالفعل فعنونتها بعنوان « بين الجريدة ومساهميها » منذ العدد ٥٣٦٤ في ١١ يناير ١٩٠٨

من هذه المحنة بفتح اكتتاب جديد قيمته اربعة آلاف جنيه وذكرت أن الاكتتابات تتوالى عليها بالتلغرافات من الاقاليم (١٣٦) .

اما ثانيتهما : فقد بدأتها المؤيد بنشر كتابى محمد عبده الى ويلفرد بلنت اللذين ترجمهما اللواء (١٣٧) . على مافيهما من تصريح الشيخ برغبته فى تجريد الخديوى من سلطة ، وسألت المؤيد حزب الامة : هل هذه آراء جمعيتكم السياسية ، الم يقتف حزبكم أثر المرحوم فى مبادئه ؟ (١٣٨) وردت الجريدة موضحة أن كل الاحزاب تطلب المجلس النيابى والحكومة الدستورية ، حتى حزب الاصلاح نفسه ، أيطلب صاحبهحكومة دستورية حاكمها مطلق ؟ (١٣٩) وذكرت ان من أعضاء حزب الأمة من كان صديقا للمفتى رغم مخالفته لآرائه، ثم ان حزب الامة لم يعلن انه يقتفى اثر المرحوم فى سياسته ، كما أن الشيخ على يوسف كان زمنا من أتباعه (١٤٠) . فتهدد المؤيد « حزب المفتى » بأن لديها كتبا خصوصية لمحمد عبده وصورا وتقارير مطولة أرسلها للاستانة بين سنتى ١٩٠١ ، ١٩٠٢ ولم تنشرها اكراما لمماته ، فترد الجريدة متهمة المؤيد « بالتلبيس » مطالبة اياها بنشر ما عندها وهددتها بأنها ترمى بالحجر وبيتها من زجاج (١٤١) .

ويبدو ان هاتين الحملتين لم تجهزا على حزب الأمة برغم ما ذكرته صحيفة الجزائر من ان عددا كبيرا من اعضائه انضموا الى حزب الاصلاح (١٤٢) لذلك اخذت المؤيد على عاتقها تنفير ممولى الجريدة واصفة اياهم بانهم اداة

---

(١٣٦) المؤيد ٥٣٧١ في ٢٢ يناير ١٩٠٨

(١٣٧) يذكر سعد زغلول ان معطفى كامل قد فعل ذلك غيظا من الخديوى الذى ساعد على يوسف (مذكراته ك ١٢ ، ص ٥٩٠) .

(١٣٨) المؤيد ٥٣٦٠ ، ٥٣٦٢ في ٦ ، ٨ يناير ١٩٠٨ والمصدر السابق ايضا .

(١٣٩) الجريدة ٢٥٠٧ في ١١ يناير ١٩٠٨

(١٤٠) يذكر رشيد رضا ان على يوسف كان يخبر محمد عبده ورجاله حزبه بجميع اسرار الخديوى وما ينكره من اعماله وآرائه ويستشيرهم فيما ليقينه انه لا يصل الى سموه شىء من مكاشفته ، كما لم يندلع على يوسف في مضادة الامام في مسألة الازهر الاخيرة (تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١ ، ص ٥٩٤) .

(١٤١) المؤيد ٥٣٦٩ ، في ٢٠ يناير ١٩٠٨ ، الجريدة ٢٦٤ ، ٢٦٦ في ٢٢ ، ٢٥ يناير ١٩٠٨

(١٤٢) عن المؤيد ٥٣٧٢ في ٢٥ يناير ١٩٠٨

فى يد كتابها وتطالبهم باستبدال مديرها المحامى بمدير صحافى وان يغيروا اسمها الذى حير الافكار (١٤٣) ، بل دفع الخديوى بصحفيه فى انتخابات مجلس الشورى (١٤٤) ، فتساءلت « الجازت » كيف يحتمل اعضاء حزب الامة فى مجلس الشورى قبول زعيم حزب الاصلاح فيما بينهم (١٤٥) .

وقد مرت بعد ذلك فترة هدوء نسبى بين الحزبين ، يفسرها تقارب واضح بين حزب الامة والحزب الوطنى ، كما يزداد اقتراب رجال حزب الامة من على يوسف ، بصلحهم مع الخديوى ، فى الوقت الذى اذيع فيه ان الوزارة بصدد التغيير وظهر أن سيكون للخديوى سلطة فى تأليف الوزارة الجديدة « فالتف حول المؤيد من كانوا منصرفين عنه بالأمس خصوصا بعدما شاع وذاع أنه كانت له اليد الكبرى فى تعيين بعض النظار » ويدل على هذا سير محمود باشا سليمان ، وعلى شعراوى باشا فى جنازة ابن الشيخ على يوسف (١٤٦) . لكن الخلاف يعود مرة أخرى عندما خاب أمل حزب الامة فى الوزارة الجديدة ، وبدأت علاقته بالخديوى تسوء مرة اخرى فى بداية عام ١٩٠٩ ، وكان من آثار ذلك القضية التى رفعها خمسة وعشرون عضوا من الجمعية العمومية لحزب الامة ، مطالبين بتصفية الجريدة وقطع لسان الحزب (١٤٧) ولا تخف الحدة الا بعد أن يخلد حزب الامة ، وقد أضعفته وانكمشته حملة الاستقالات ، الى مهادنة الخديوى ، حيث شرعت جريدته فى نشر قصائد مديحه واخبار استقبالاته ، فبادلتها المؤيد ودا بود ، وكفت عن اثارة المتاعب للحزب وتشجيع المنشقين عليه ، ثم لا تلبث أن تضع حزبى الامة والاصلاح فى معسكر واحد يضم « عظماء الامة وكبار المفكرين فى وادى

---

(١٤٣) المؤيد ٥٣٦٨ فى ١٩ يناير ١٩٠٨

(١٤٤) مذكرات سعد زغلول ، ك ١٢ ، ص ٥٩٠ فيقول « الحاصل ان تداخل الجناب العالى فى الانتخابات هذا العام محقق » .

(١٤٥) من المؤيد ٥٣٦٩ فى ٢٠ يناير ١٩٠٨

(١٤٦) مذكرات سعد زغلول ، ك ٩ ، ص ٤١٤

(١٤٧) الجريدة ٦٥٤ فى ٥ مايو ١٩٠٩ وقد ثولت المؤيد شرح قضيتهم على لسان حسن بك جموم الذى تركزت اتهاماته حول التخريب المالى والاشخاص الذين يكتبون فيها بالاجرة بأسماء مستعارة ، وامتداحها للمحتلين وكرومر والتحريش على الثورة فى الازهر وتتابع الطعن على الخديوى . (المؤيد ٥٧٦٩ فى ١٢ مايو ١٩٠٩) .

النيل، وهما الحزبان اللذان يمثلان الرأى المعتدل فى مصر » (١٤٨) .لكن الخلاف يعود ليكدر صفو السلام بين الحزبين وكان السبب الاساسى كالعادة هو الخديوى ، فقد قدم محمود سليمان وشعراوى تقريرا بشأن قانون الازهر ، يعارض ترؤس الخديوى للمجلس الاعلى للجامع ، فهاجمت المؤيد هذا التقرير واعتبرت ان واضعه هو مدير الجريدة (١٤٩) . كما استنكرت وهاجمت رغبة حزب الامة تكوين جبهة من « الاحرار » او حزب ديمقراطى داخل مجلس الشورى ، وربطت بين حزب الأحرار الاحتلالى النزعة والذى تنطق المقطم بلسانه وهذا الفريق من حزب الامة ، وقد استعانت باسماعيل اباظة ، رجل الخديوى ، ليهاجم هؤلاء « الاحرار » الذين شكلت لجنة من المجلس لتكريمهم بدار الجريدة (١٥٠) .

ويمثل موقف لطفى السيد من الحرب الطرابلسية آخر مرحلة للصراع بين الحزبين ، كما ان حملة على يوسف على حزب الامة بسبب ذلك كانت آخر حملاته على حزب الامة ، فلم يلبث ان عين شيخا للسجادة الوفائية بأمر عال فى مارس ١٩١٢ (١٥١) . وتعتبر هذه الحملة هى اول حملة يشنها المؤيد دون ان يكون محورها الخديوى ، وان اتصلت به بشكل ما ، كذلك لم ينفرد بها صاحب المؤيد وحده ، فقد كانت كافة القوى الوطنية بل وفريق من حزب الامة نفسه ، فى معسكره ، وموقف حزب الاصلاح من مساعدة الطرابلسيين يتصل باعتبارها مسألة اسلامية لا تركية فكان رئيسه من المطالبين بتشكيل لجنة الاكتتابات (١٥٢) فما أن نشر لطفى مقالات « سياسة العواطف » حتى

---

(١٤٨) المؤيد ٦١١٥ في ١١ يوليو ١٩١٠ ونشر تلغرافا لمكاتبها في الدقهلية يطلب الى مندوبى المستبلاوين ان يظهروا وطنية صادقة وينتخبوا لطفى السيد (المؤيد ٦٢٤١ في ١٧ ديسمبر ١٩١٠) وكان صاحب التلغراف محمود سليط أحد اثنين انسحبت لهما المؤيد صدرها للمطالبة بتصفية الجريدة .

(١٤٩) المؤيد ٦٣٢٨ في أول ابريل ١٩١١

(١٥٠) المؤيد ٦٣٣٥ ، ٦٣٣٦ في ٩ ، ١٠ ابريل ١٩١١ ، ومقالات اباظة باشا بالمؤيد ٦٣٨٦ ، ٦٣٨٧ في ١٠ ، ١١ يونيو ١٩١١ وقد وردت عليها الجريدة في ١٢ ، ١٣ يونيو ١٩١١

(١٥١) الجريدة ١٥١٥ في ٦ مارس ١٩١٢

(١٥٢) المؤيد ٦٤٨٧ في ٨ اكتوبر ١٩١١ (وقد نشرت مقالات بقلم واحد من أقطاب حزب الامة وهو حمد الباسل) .

انبرت المؤيد لنشر برقيات مساهمي الجريدة المستنكرين خطتها والمطالبين بمحاربتها ، ثم ردت عليها بسلسلة مقالات عنوانها « التخبط في السياسة بين المنافع والعواطف » طعنت فيها على لطفي السيد طعنا جارحا واتهمته باحتقار الراى العام وارضاء الانجليز ، والالحاد (١٥٣) ولم تنته المعركة الا بانتقال الشيخ علي يوسف الى السجادة الوفائية ، بعد ان استنفذ لدى الخديوى مسوغات وجوده ، وبانتقاله يعتبر حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية في حكم المنتهى ، وان كانت سنواته الاخيرة قد اكدت هذا من قبل ، فقد كان واضحا ان الحزب ليس اكثر من كونه صحيفة تدافع عن الخديوى ضد الأحزاب الأخرى ، ولكن مع فرض قانون المطبوعات والقوانين المكممة لأفواه الوطنيين ، وتدهور الحزب الوطني ومع مجيء سياسة الخلاف بين السلطتين في ركاب كتشنر وما صحبها من تقوقع الاحزاب وانصراف الكثير عنها ، لم يعد الخديوى بحاجة الى صحيفة تحميه او حزب يدافع عنه .

حزب الأمة والأحزاب الصغرى :

اذا حاولنا ان نعطي بقية الاحزاب المصرية ، توصيفات حقيقية ، فسوف ننزع عنها بالفعل تسميتها « بالاحزاب » . ذلك انها كانت تكوينات ذات وجود لفظي اكثر منه فعلي ، فقد نشأت من واقع العداء لفكرة معينة ، او لخدمة علاقة بعينها ، او نتيجة حادثة ما ، كما انها — باستثناء الحزب الوطني الحر (١٥٤) — لا تملك صحفا للتعبير عن نفسها ، كما افتقدت وسائل التعبير الأخرى ، التي تكفل لها وجودا معنويا وعضويا . فلسنا نعرف لاحداها ما يعتبر هيئة برلمانية او تشكيلا من نوع ما ، ثم ان معظم القائمين عليها كانوا من الكتاب والصحافيين . وتبعا لذلك اصبحت كيانات هذه الأحزاب — ان كان ثمة كيان لاحداها — هزيلة ومتواضعة ووهمية في

---

(١٥٣) المؤيد ٦٤٩٥ في ١٦ اكتوبر ١٩١١ (حيث توجد اسماء هؤلاء ونصوص برقياتهم) ورد المؤيد بالعددين ٦٥٠٣ ، ٦٥٠٥ في ٢٤ ، ٢٦ اكتوبر ١٩١١

(١٥٤) انظر يونان لبيب : الحياة الحزبية ، ص ١٤٩ (والصحيفة الوحيدة التي انشأها هي صحيفة الأحرار الاسبوعية) .

اغلب الاحيان . كذلك لم يكن لاغلبها برامج محددة . ومن ثم سوف تقتصر دراستنا لعلاقة حزب الامة بهذه الاحزاب على « مواطن الاحتكاك » التى حدثت بينهما وبين حزب الامة طالما وجدت وسيلة للتعبير عن هذه المسألة او تلك . وهذه الاحزاب هى الحزب الوطنى الحر (يونيو ١٩٠٧) ، الحزب الجمهورى (ديسمبر ١٩٠٧) ، الحزب المصرى أو حزب المصريين المستقلين (سبتمبر ١٩٠٨) ، حزب النبلاء أو الاعيان (اكتوبر ١٩٠٨) ، الحزب الدستورى أو مصر الفتاة (١٩٠٩) (١٥٥) ، ولم تكن هناك صلة — فيما درسنا — بين حزب الامة والحزبين الأخيرين .

أما الحزب الوطنى الحر أو حزب الاحرار الذى عرض محمد وحيد برنامجه فى صحيفة « المقطم » فى ٢٦ يوليو ١٩٠٧ (١٥٦) ، والتى اتخذت لسان حاله منذ البداية ، فصلته بالاحتلال معروفة بما فيه الكفاية ، ولعل هذه الصلة مثلت محور علاقته بحزب الامة ، كما جعلت « المقطم » الصحيفة الثانية — بعد المؤيد — التى اهتمت بمسألة اصدار « الجريدة » ووصفت القائمين عليها بالافاضل المعتدلين ، وذكرت ان ما ذكره المتطيرون عن استحكام وشائج الود بين الاحتلال واصحاب الجريدة هو بعينه الكفيل بنجاحها (١٥٧) . ثم رحبت « بالجمروندست » أو الحزب المعتدل وهاجمت اللواء حين انكرت وجود حزب بمصر سوى الحزب الوطنى (١٥٨) .

وحين عرض محمد وحيد مبادىء حزبه كان على راسها مسالمة المحتلين والسعى فى نيل ثقتهم والاتفاق معهم على ما فيه خير القطر وترقيته وانجاحه ،

---

(١٥٥) انظر يونان لبيب : الحياة الحزبية ، ص ٣١ ؛
Landau, Parliaments and Parties, pp. 143-147.

والحزب الاخير انشاه ادريس راغب ، احد مساهمى الجريدة المنشقين عليها وقد اعلن من قيام حزبه ولما نشل في اتخاذ صحيفة له انشا « الايجبيت » لتنطق بلسانه ولكنه لم يعش طويلا كما لم تربطه ادنى صلة بحزب الامة .
Landau, op. cit., p. 146.

(١٥٦) المقطم ٥٥٧٢ في ٢٦ يوليو ١٩٠٧

(١٥٧) المقطم ٥٢٧٠ في ٣٠ يوليو ١٩٠٦ ، ٥٢٠٨ ، ٥٢٠٩ في ١٢ ، ١٤ سبتمبر ١٩٠٦

(١٥٨) المقطم ٥٢٨٠ في ٧ ديسمبر ١٩٠٦

وتدور باقى المبادىء حول التدرج واجتناب الطفرة واعداد الامة لقبول الاصلاح الذى يأتى به الانجليز (١٥٩) وهى فى مجموعها لا تختلف كثيرا عن فلسفة حزب الامة ، وكان أول احتكاك بين صحيفتى الحزبين — الامة والأحرار — حين سألت المقطم الجريدة عمن تقصد بأصحاب المصالح الحقيقية ، فردت الجريدة بأنهم هم الذين يدافعون عن بلادهم وقت الشدة ويجهرون بأنه ليس فى البلد تهييج ولا مهيجون(١٦٠) بيد أن حزب الأمة يرى أن ثمة فارقا بين اعتداله واعتدال حزب الاحرار ، بل يرى فى ذلك الرضا الصريح بالاحتلال نوع من التطرف يقابله تطرف الحزب الوطنى فى عدائه للاحتلال . فمثلا حين يبرق وحيد الى الخديوى وهو بالآستانة ليؤكد له باسم حزبه أنهم راضون من الاحتلال تمام الرضى ويعترفون بحسناته وثمراته ، لا ترى الجريدة لهذه البرقية سببا ظاهرا وتعتقد أن هذا السعى فى شكله لا ينطبق على ما يدعيه الأحرار (١٦١) .

وبالرغم من هذا يصر حزب الاحرار على الاقتراب من حزب الامة ، بل ويعتبر نفسه فريقا من حزب الامام محمد عبده ، اختص بالجانب السياسى من هذا الحزب الكبير (١٦٢) ويقرن بين أفكار حسن باشا عبد الرازق فى خطبة اعلان الحزب ، وبين أفكاره ، وان كل ما هنالك هو أن حزب الامة يفصل مثلا فى بعض الأمور التى يجملها حزب الاحرار ، ولتمام الفائدة يرى أن يجمعا قوتيهما ويحملان حزبا واحدا (١٦٣) بينما تجاهلت الجريدة الرد عليه ، وحتى حين سألها المقطم عما تقصده بكلمة « أمة » (١٦٤) لتوجد نوعا آخر من الاتفاق بين الحزبين ، اصرت الجريدة على التجاهل حتى لا تكسب حزبها صفة محددة ، ربما حوسبت عليها بعد أن تحدد موقفها من سياسة الوفاق ، ورأت أنه اذا كانت المقطم تقول بالرضا عن الاحتلال فالجريدة

---

(١٥٩) المقطم ٥٥٧٢ في ١٤ يوليو ١٩٠٧ والاحرار ٢٧ في ١٣ سبتمبر ١٩٠٨

(١٦٠) الجريدة ٧١ في ٢ يوليو ١٩٠٧

(١٦١) الجريدة ١٠٠ في ٦ يوليو ١٩٠٧

(١٦٢) المقطم ٥٥٧٨ في ٢ اغسطس ، ٥٥٨١ في ٦ اغسطس ١٩٠٧

(١٦٣) المقطم ٥٦٢٣ في ٢٣ سبتمبر ١٩٠٧

(١٦٤) المقطم ٥٦٢٦ في ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧

لا تقول بذلك لان الوقت لم يحن بعد (١٦٥) . ومع هذا لا يفتا حزب الاحرار أن يبدى رغبته فى الاتحاد مع حزب الأمة الذى حاول الايقاع بين محمد وحيد وبين صاحب المقطم الدكتور فارس ، « الذى أفسح صدره لهذا الحزب الخيالى الذى ليس له حظ من الوجود الا الاسم » (١٦٦) . وتأبى المقطم الا ان تؤكد ان الحزبين مختلفان لفظا ومتفقان معنى . فتكرر الجريدة أن الخلاف بينهما هو الرضا بالاحتلال الذى تقول به المقطم فترد هذه بأن الاحتلال موجود رضينا او لم نرض ووجوده غير متعلق على رضانا ، وأن المصلحة تقضى علينا بمسالمتهم والاشتراك معهم فى عمل يفيد القطر (١٦٧) وهو منطق التعامل مع الاحتلال اعتمادا على الواقع مع المسالمة ، والذى نادت به الجريدة من قبل ، ولا يكف حزب الاحرار عن محاولاته الالتصاق بحزب الأمة عن طريق الاعداد لاجتماع بين محمد وحيد ولطفى السيد ، او فتح اكتتاب عام لاقامة تمثال لمحمد عبده (١٦٨) .

ترك محمد وحيد المقطم على أثر خلاف مع صاحبها ، واصدر صحيفة الاحرار فاتخذت علاقته بحزب الأمة شكلا جديداً ، بعد فشل كل محاولاته للاتحاد معه كما أن حزب الأمة منذ الشهور الأولى لعام ١٩٠٨ قد بدأ حملته على سياسة الاحتلال البريطانى ، ومهاجمة الوفاق ، حينئذ اندفع حزب الاحرار فى شن حملة قوية عليه اتهمه فيها بأنه « حزب تيهان وجريدته تيهانة » وأنه قام به نفر من الغيطانيين ذوى الغيطان ليس الا (١٦٩) . ووصفه بأنه لا مذهب له ولا مشرب لجريدته وانه « حزب متلون » ولطفى السيد « غلام متلون » (١٧٠) . ولكن حزب الأمة تجاهل تماما وجود هذا الحزب وتجاهل محمد وحيد بعد إصداره لصحيفته . فلم نعثر على مقال واحد فى الرد عليه ، بل ولم نعد نسمع من حزب الاحرار نفسه الذى أغلقت صحيفته فى منتصف عام ١٩١٠

---

(١٦٥) الجريدة ١٧٣ في ٣٠ سبتمبر ١٩٠٧

(١٦٦) الجريدة ١٩٥ في ٢٦ اكتوبر ١٩٠٧ (ويذكر وحيد بك أن كل من يريد الانضمام للحزب ما عليه الا ان ينضم بقلبه ووطنيته الصحيحة) .

(١٦٧) المقطم ٥٦٥٢ في ٢٨ اكتوبر ١٩٠٧

(١٦٨) المقطم ٥٦٥٣ في ١٩ اكتوبر ١٩٠٧ والاخبار ٤٢ في ٢٣ فبراير ١٩٠٨

(١٦٩) الاحرار ١٢ في ٣٠ مايو ١٩٠٨

(١٧٠) الاحرار ١٤ ، ١٨ ، ٢٦ في ١٢ يونيو ، ١١ يوليو ، ٢٠ اغسطس ١٩٠٨

اما الحزب الجمهورى : فقد ظهر فى ديسمبر ١٩٠٧ حين أصدر محمد افندى غانم رئيسه بيانا أعلن فيه أن هدف الحزب الأساسى تلقين المصريين مبادىء الجمهورية حتى اذا زال الاحتلال تحول نظام الحكم فى البلاد الى شكل جديد للمصريين فى ظله أن يختاروا حكمهم بأنفسهم ، وكان ضمن الأحزاب المعادية للحكم الاوتوقراطى الذى مارسته أسرة محمد على (١٧١) . وقد نادى محمد غانم على صفحات جريدة « الأخبار » التى افسحت صدرها لدعوته ، بسيادة الأمة واعتبارها مصدر كل سلطة (١٧٢) . ورغم ما يجمع هذا الحزب وحزب الأمة من عداء للخديوى وأسرته ودعوة الحزب الجمهورى الى سيادة الأمة او سلطة الأمة ، مع اختلاف نظرة كل منهما لكيفية ممارستها لهذه السلطة ، الا ان حزب الأمة لم يكن على استعداد لمجاراة هذا الحزب فى دعوته ، ومع ذلك كان محمد غانم وهو يهاجم « جرائد السلطة المطلقة والأغراض الشخصية » يضع جريدة حزب الأمة فى موضع وسط « فبرغم انها نادت بسلطة الأمة الا انها برأت نفسها من القول بأشرف المبادىء الوطنية وهو الاستقلال التام حرصا على مركزها المالى » ، وكان يأمل ان يتحد الحزبان (١٧٣) لأن حزب الأمة ينادى بالجمهورية بضميره وينكرها بلسانه ... فسلطة الأمة واحدة ولا تتعدد ووحدتها الجمهورية « فما لحزب الأمة ينادى بامر ويسعى الى ضده » (١٧٤) وربما خشى حزب الأمة من تطرف مبادىء محمد غانم فلم يعلق عليها بشىء وربما ايضا لم تسمح الفترة التى عاش خلالها الحزب الجمهورى ، ولم تتجاوز بضعة اشهر ، بتطور من نوع ما لعلاقة هذا الحزب بحزب الأمة .

---

(١٧١) محمد انيس : الحزب الجمهورى المصرى ١٩٠٧ — ١٩٠٨ — الكاتب — ١٠٥ في ديسمبر ١٩٦٩

(١٧٢) الأخبار ٢٥٢ ، ٢٥٧ في ٢٢ ، ٣١ ديسمبر ١٩٠٧ (ويشرح في العدد الأخير مبادىء الحزب الجمهورى) .

(١٧٣) الأحرار ، عدد ٧ في ٤ ابريل ١٩٠٨

(١٧٤) الأحرار عدد ١١ في ٢٣ مايو ١٩٠٨

وأخيرا الحزب المصرى ، فحين صدرت « الجريدة » رحبت بها الصحف القبطية ، التى تحدثت باسم الحزب المصرى فيما بعد ، وكان هذا الترحيب يرجع الى رفع الجريدة لشعار الاعتدال الذى اشادت به صحيفة «الوطن»(١٧٥) ورات أن خطة حزب الأمة موافقة كل الموافقة لسياسة « الوطن » التى نادى بها الشعور والاعوام (١٧٦) واشادت صحيفة مصر بسياسة « المسالمة لا المعاندة » للاحتلال . ورات أن جرائد الحزب الوطنى قد عميت عن هذه الحقيقة . كما اشادت بسياسة حزب الأمة وذكرت أنها طالما نادت بالاعتدال ازاء المحتلين ، وان يتولى الاعيان والقائمون بالنيابة اصلاح الأخطاء (١٧٧) ، وكانت شركة الجريدة وبالتالى الجمعية العمومية لحزب الأمة تضم ١٦ قبطيا من بين أعضائها البالغين ١١٣ عضوا ، ولعل سر اهتمامهم بالمساهمة فى حزب الأمة يرجع الى خشيتهم سيطرة الميول والاتجاهات الاسلامية على الحزب الوطنى ، كما أن اعلان « الجريدة » لسلوكها سبيل الاعتدال ، قد قربهم منها أكثر ، بالاضافة الى ان اعيان الاقباط وجدوا فى حزب « الأعيان » متنفسا طبيعيا للتعبير عن مصالحهم ، وقد شرعت صحيفة مصر فى مهاجمة حزب الأمة عندما تبنى هذا اسالبب الحزب الوطنى ، فى فترة وفاقه معه ، فرات « مصر » أن حزب الأمة قد سار مع الحزب الوطنى جنبا الى جنب وضرب على كل اوتاره ، رآه ينكر على عنصر الاقباط حقوقه ويطعنه باقبح الطعنات فداراه ولم يجترىء على الاحتجاج عليه (١٧٨) وعلقت على خطبة لطفى السيد بالاسكندرية فى اغسطس ١٩٠٨ بانها كخطب محمد فريد ، وان هدفه كان ارضاء الغوغاء وان كلامه الطيب عن الوطنية ليس الا غشاء كاذبا ، وانه يتنازع مع محمد فريد دولة الغوغاء فى مصر (١٧٩) ، وقد تجاهلت « الجريدة » ذلك كله ، لتعزوفها عن الدخول فى معارك طائفية ، كما أن حرصها على تجنب الخوض فى المسائل الدينية النابع أساسا من معتقداتها الخاصة ، جعلها تتجاهل

---

(١٧٥) الوطن ٢٧٠٨ في ١١ مارس ١٩٠٧

(١٧٦) الوطن ٢٨٦٩ في ٢٣ ديسمبر ١٩٠٧

(١٧٧) مصر ٢٢٧١ في ٢ مايو ، ٢٤٨٩ في ٢٣ ديسمبر ١٩٠٧

(١٧٨) مصر ٢٧٢٦ في ٢٤ يوليو ١٩٠٨

(١٧٩) مصر ٢٧٦١ ، ٢٧٦٣ في ٢٤ ، ٢٦ اغسطس ١٩٠٨

قيام الحزب المصرى الذى لم نعد نسمع عنـــه بعـــد قيامه فى ٢٣ سبتمبر عام ١٩٠٨ (١٨٠) .

* * *

كانت مسألتا الاحتـــلال البريطانى والســـيادة العثمانية هما المحركان الأساسيان لعلاقة حزب الأمة بالحزب الوطنى ، ورغم اختلاف الحزبين حول هاتين المسألتين واسلوب التعامل بشأنهما — نظرنا واعتدالا — فان العلاقات الودية ظلت بين الحزبين ، مما يؤكد أن الخلاف فى المبادىء والمواقف شىء وان حسن العلاقة شىء آخر ، فالمسألة الاخيرة مستمرة اما الأولى فلا تتغير الا بتخلى احدهما عن موقفه ازاء هاتين المسألتين او اسلوب التعامل معهما ، ولم يحدث هذا كثيرا فى حركة العلاقة بين الحزبين ، الا عندما تبنى حزب الأمة بعض أساليب الحزب الوطنى أو عندما ابدى زعيم الحزب الوطنى استعداده لقبول حلول معتدلة ، فقد رأينا للمرة الأولى فى تاريخ الحزبين تقاربا أساسه اتفاق موقفيهما من الاحتلال ، يتصل به تقارب آخر اساسه ما يعتبر تغيرا فى موقف الحزب الوطنى ازاء السيادة العثمانية خلال الحرب الأولى .

وعلى غير ذلك كان الخديوى محور علاقة حزب الأمة بحزب الاصلاح ، حيث كان المؤثر الحقيقى ان لم يكن الوحيد فى حركة العلاقة بين الحزبين وليس هذا غريبا على حزب اقامه الخديوى فى مقابل حزب ينفس على الخديوى سلطته ، ومن ثم كانت طبيعة العداء هى الغالبة وما سواها لم يكن غير نوع من المهادنة ، وحين تصاعد عداء حزب الأمة مع الخديوى فى سنوات الوفاق ساهمت صحيفة حزب الاصلاح فى ضعضعة حزب الأمة وان لم تجهز عليه ، ولم يحدث أن عرفت علاقة الحزبين لها محورا غير الخديوى سوى مرة واحدة خلال الحرب الطرابلسية حين شارك حزب الاصلاح بقية القوى السياسية موقفها من حزب الأمة .

* * *

---

(١٨٠) مصر ٣٧٨٤ ، ٣٧٩٠ في ٢٢ ، ٢٩ سبتمبر ١٩٠٨